أصوات أدبية ١٥

في ذاكرة الفعل الماضي

شعر

محمد صالح الخولاني

أول مارس ١٩٩١

أصوات أدبية

سلسلة تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
حسين مهران

مدير التحرير
فؤاد قنديل

مشرف تنفيذى
سعيد عباس

مستشارو التحرير

د. رجاء عيد — فؤاد حجازى

د. احمد السعدنى — الخضرى عبد الحميد

المراسلات: باسم مدير التحرير على العنوان التالى:
١٦ ش أمين سامى - قصر العينى - القاهرة / رقم بريدى: ١١٥٦٢

فى ذاكرة الفعل الماضى

ماذا تقرئنا ذاكرة الأيام العجلى
ماذا تُنبينا تذكارات الزمن المسرف فى الترحال
كنا أبحرنا فى صبوات الليل
حتى صادفنا وجه الحلم النافر
وارتدنا فى أودية الشمس
كل الطرقات الملأى بالأقمار
ورسمنا فوق ظلال الأحرف فى الأشعار
فوق قباب الفلك الدوّار
حلم الظل المقرور لوجه الشمس
حلم القطر المنداح لزرقة ماء البحر
توق الينبوع لظمأ الطير النازح
ومهاد الشعر لقصة فارس ليل
مازارت بعدُ ليالي الصبوة والسمار
كنا ابحرنا فى الزمن المعتل
نتحامى نُذُرَ القيعان المجدبة الظمأى
وندور ليالى ما أحصتها الشمس
نترقب أن يمنحنا الليل نبوءة زمن النار
لكن
مازال الشعر أنيناً يزفر فى الأنات الجوعى

قَدَراً يترصد نبض الأحرف والكلمات
وكأنا كنا فى ازمنة التَّوْق
نلهو بالشعر وبالأحلام
نثقب ذاكرة الأيام
وكأنا كنا نستسقي نهراً مرصودا
أو كنا نتعبّد ريحاً مغلولة

* * *

كنا نستمطر عطر نبوءات الشمس المخبوءة
ونذوِّب فيه عشق الليل المبحر خلف بروق الوعد
لكنا بعد زمانٍ عدنا
نستقرىء ما سطرنا فى ذاكرة الفعل
ما انبجست فى أعيننا غير مرايا الليل المنطفئة
وبقايا طللٍ لم يمنحه طريق السفر المر
عابر دربٍ يستقصى وعداً مغتربا
عادت ذاكرة الفعل كسطح بللورىّ أملس
تنزلق الريح عليه . ما يستبقى غير عواء الليل

* * *

ماذا يا ذاكرة الفعل الماضى
أبقى فيك الزمن المتواتر بالنسيان
ماذا أبقى طاحون الفلك الدائر فى أوردتك
قد كنا أترعناها رمنا الموقد بالأسئلة الحيرى
قد كنا أشعلناها جمرا
ما بالك يا ذاكرة الفعل الماضى
تبدين كما لو كنا أترعناها الملح

أو كنا استسقيناها النار
شاخت فرسانك يا ذاكرة الفعل الماضى
وانجذعت قامات الخيل الفرعاء
ملاحك عاد
قد أفرغ فى جزر الترحال الموصدة الأبواب
ما قد حَمَّلْت سفائنه فى زمن اليسر
وعشّية عاد
عاد بصَدر دام عريان
تسكنه ريحَ الليلَ الصدئه
وتعربد فيه جرزان السفن المهجوره

* * *

رُدِّى لى يا ذاكرة الفعل الماضى
ظلاً من صبوة عمرٍ مات
واميتى فىّ
كل ضراعات العمر الآتى

مارس ١٩٨٧

عودة أوزوريس

يا وجه حبيبى
ما بالى أديم النظر اليك
لا ابصر ما كانت تفشيه الأعين فى أروقة الصمت
يثقل اشجارك فى قلبى بالثمر الطيب
يرسل انسامك أنداءً فى هاجرتى
يترامى فى أذنىّ غناء

* * *

يا وجه حبيبى
إنى أتلفت ابحث عن أصداء الصوت المنفىّ النازح
أتلفت ابحث عما كانت تعنيه الكلمات
لا أسمع غير ضجيج الايقاع الهمجىّ
وعواء الليل الشتوى العاصف
فى غابات لم تطرقها عينٌ بشرية

* * *

يا وجه حبيبى
يبكينى أن أفتقدك فيك
قد كان النظر إلى عينيك مسيرة عمرى اليومية
رحلة أفراحى . شجنى
أحملها زاداً يملؤنى بالثمر الطيب

* * *

يا وجه حبيبى
معذرةً أن تبصرنى أبكى
ما عاد حيال النظر اليك يراود قلبى غير الدمع

* * *

يا رفقة ليل غنائى
اعتذر اليكم
إن يبدُ غنائى الليلةَ مهزوم الأصداءِ
او إن يتحدّد فى اغنيتى صوت بكائى

* * *

معذرةً يا ربات الشعر ويا حوريات عوالمه المؤتلفه
الّا أتدلّه فى اسرار الصمت المترامية رؤاها من عينيك
الا أستسقى من ينبوع الحكمة فى أودية الأزمنة الخلابه

* * *

معذرةً يا إيزيس
إنى استسكمح دمعك أن أذرفه من عينىّ
ان انضح من جفنيك الدمع إلى جفنىّ
ليسيل النهر دماً مسفوحاً فى الأودية المتشققة الظمأى
فلعلك أوزوريس
أن تغدُوَ جثتك الأشلاء المنفيةُ
وعدًا يشربه النهر ويندى فى أعواد النبت الأخضر
ولعلك أوزوريس
تنهض .. تتداعى فى قامات النخل جَنىً من زمنٍ
لم تنضجه الشمس

وتلملم أشواق التابوت النازح فى الأزمنة الخربة
وتعـود
لتجفف دمعة إيزيس المنداحة نهرا

* * *

يا وجه حبيبى
يا رحلة أوزوريس
يا نهر دموعك يا إيزيس
أتطلع من شرفاتك
أمضى مرتاعاً فوق ضفافك
أتداعى مثل نداء اللوعة فى أغنية الحزن الأبدية
أبحث عن ريح لا أتنسمها فى عطر حقولك
أتحسس شيئاً من ازمانٍ لم تلمسه يداى
أتسمعَ اغنيةً
ما عاد يبوح بها من زمنٍ صوت الناى
وأظل اسـير
وصدى أغنيتك يا إيزيس
يتمثل لى
تابوتا يمضى فى ظلمات النهر
أتمثل رحلة اوزوريس
وأظل أغنيك .. بكاء

يوليه ١٩٨٤

انكسار

آمنتُ .. لا تُغْرُوا بىَ القولَ المدجَّجَ لا ولاتستنفروا لى الكلمات
كل الذى أبديتمو هو حكمة العصر الرصينه
آمنتُ .. كنت الغِرَّ . كنتُ الفارسَ المدعوَّ للحرب تباريه
طواحين الهواء
سيفى الذى عاقرته دهراً من الغفلة واستصفيته عمراً بديدا
ونجائبى اللاتى نَفقْنَ وما ارتخى عنهنَّ فى كفى عنانُ
تحت اصطلائى النارَ والاعصارَ والريحَ المسوَّمةَ العقيم
يا سوأة الاثم الذى قارفتُ إذ أضنيتُها دهراً مديدا
قد كنتُ موهوماً بضوء البرق إذ خُيِّلَ لى
أن الذى يمتد من كفىَّ نصلاً من لهب
يوماً سينقضُ على كل السيوف المفتراه
أنَّ الذى أرتادُ من آيات وهمى البيّنات
حتماً سيفرى حجة البهتان فى أول ضوء للمقاله
يأيها الفرسان هذا يومكم فلتستعدوا
كان النداء الأخرق المجنون يمتد على طول انسياحى
من قامتى الفرعاء حتى منتهى مرمى رماحى
عند امتداد الصخر تَلاًّ من أراجيف البغاه
يأيها الفرسان هذا دونكم إرثُ الموِدَّات القديمةُ
فلتبعثوا أيامكم بيضاً على ظل السنين المطفآت
ولتكتبوا التاريخ منسوباً إلى لون البراءة
ولتقرءوا سفر البطولات التى ما لوّحتها الشمس تستجدى

عطاء المنعمين
كان النداء الأخرق المجنون يستنفر فىَّ الذكريات
يمتد بى خيطاً من الزهو ومن ثأر الدعاوى المارقات
ينساح بى للساحة الحمراء مصلوباً على لون اغترابى
وعلى مواريثى المُدَمَمَة العتيقه
يهتاجنى كالمصحف الموءود مركوزاً على قمم السيوف
وبكل ما أوتيت من طوْقِ الأباة الطيبين
المالئين أعنَّةَ الخيل افتداء واجتراء
ادمنتُ عمراً مُشْعَلاً كالبرق موصولاً بألسنة الحراب
جادلت وجه الصخر منهلا بآيات البراءة
ومَرَيْتُ فوق مدارج الاعصار ألوية الشتاء
ما انجاب لى ظلٌ ولا استغشيتُ ضوءاً للمطر
ما انهلَّ فوق معابر الفرسان والخيل المغيره
إلا الرياح المثخناتُ وغير ألويتى الكسيرة
ما انجاب لى إلا ارتطام الإفك مجتاحاً دعاواتى الغريرة
المالئاتِ دَمَ المواعيد البليدات اليتامى
بالحلم أعمى أخرس الكفين ابتر لا يواتيه انتصار
هذى مواعيد الصِّغار والانكسار
هذا زمان الخرس والعميان والمتبالهين
يأيها الفرسان لمُّوا شعثكم واستجمعوا كل السيوف
عودوا إلى الإدلاج فى كُتْب البراءات القديمة
وضعوا السيوف قلائداً عصماء تستجلى مُحَيَّاها العيون
تحفاً من الزمن النبيل إلى تواريخ العفاء والادِّعاء
يأيها العالون فوق جماجم الفرسان للسُّدَفِ المَشِيدَةِ بالجليد
يا سادة الأبهاء تومض بالزجاج وبالحديد
قولوا بأنى صابىء عن مجد آبائى الأباة الطيبين

قولوا بأنى مشركٌ بالسيف مرتدٌ عن الزهو القديم
آمنتُ ـ وانفرعَتْ رماحى واستبدت بى الجلاميد الحزون
آمنتُ . وانشعب الفؤاد ودُقّت الأوتادُ فى عينىّ
وانكسر الضياء
لكننى مازلت أذكر .. كان ضوء الشمس منسرباً وكان
الليل يوشك أن يَجىء

اكتوبر ١٩٨٨

أحبك

أحبك سوسنةً فى الضلوع ومجمرةً للعطور القديمة
ربيعاً تؤلف فيه العصافير أغنية البَوْح للنهرِ والنهرُ قصة
كل الفصول النديّه
اباهى بك الشمس فى مُقَل الصبح . فى السُّدف العاليات النجوم
واركض خلف الشموس التى تتأبّى عليكِ
وازرع فى مقلتيها المواعيد
فتأتيكِ بالعيد قبل اندفاق المواسم
احبك كالنهر حين يفيض اخضراراً على حدقات الحقول
وكالناى حين يهامِسُ فى النيل أسرار عشق الضفاف الحزينه
وكالنخل حين يبثك وجد السنين التى لم يحزها زمان
احبك .. أتلوكِ كلَّ نداء دعاء
وكلَّ صدى مشهداً لانبلاج القصائد

* * *

وتنأيْنَ للشفق المستعار وللزهو فى حدقات النجوم الكواذب
تغرُّكِ فى الوتر المستبدّ وفى ألق النشوةِ المُدَّعاه
ترانيمُ موهومةٌ فى الحروف
وأصداءُ سَكْرَى وما هن سكرى
وأضواءُ ما انبعثت من حنين
تدورين كالنحل حول المرايا
تقيمين عرسك فى حدقات العيون البخيله

تَذُرِّين قلبك كالنور ينحلُّ الف شعاعٍ هدايا
تُنيلين بِشْرَكِ كلَّ دَعِىّ بدعوى وصالٍ
وكلَّ مُجيدٍ فنون التباريح وَهْما
يُزَوِّرُ معنى الهوى فى مقال
أغافُلةٌ أنتِ الهاكِ عرسُ التراتيل
أم النَّزَقُ الخالدُ الأنثوىُّ
وما صيغ من قلب حواء عبر انهمار الزمان

* * *

أُعيذُكِ بالنور فى الفجر
بالصدق فى لغةِ الوجد . بالتَّوْقِ فى مُقَلِ العاشقين
أعيدى إلى الشمس دورتها فى الحقول
إلى الزهر زهوَ الفراش الندىّ
إلى النهر تهويمة الطير . مَهْوَى النجوم العطاش
إلى النخل لون الجنَى المستطاب
ورُدِّى إلى السُّحْب أنشودة المطر العبقرىّ . حوار السفوح المشوقةِ .
أصداء نجوى العصافير للسنبلات فهذا المدى ظامئٌ لا يزال
وأنت التى ـ مَرّةً ـ بافتضاض المواسم
تردين للشمس لون الحقول

اكتوبر ١٩٨٨

رسالة الحر الرياحي الأخيرة
إلى ابن أبي سفيان

استمح لي يا أمير المؤمنين
مرغماً خلَّيْتُ في الليل على ارضك خيلي ودروعي
ومُعاراً من شفا المحنة للسخط الذي ينسج أثواب الضغينه
ويؤاخي بين ليل المتعبين الغرباء
وانحسار الشمس عن آخر ظلٍّ في النهار
انثني عنك والوي عن خُطَى دربك اشواق دروبي
استمح لي يا أمير المؤمنين
أنني برأتُ منك القلبَ والوجهَ وأبرأتُ لساني
واصطفيتُ السخطَ لا أوليه إلا لسناني
وسللتُ العهدَ من جنبيّ ريحاً من لهب
وحُمَيّا من تراتيل الغضب
ثم ذَرَّيْتُ مواثيقي على سخطيَ في الليل رمادا

* * *

أنِفَتْ بي هذه النفس التي لا تنثني
كلَّ يومٍ
تترامى بي إلى أرض النهايات العنيده
هذه النفس التي ما عمرها طارت شعاعا
ان أرَى فوق المُلاحاةِ جواداً مستكنّا
وشراعا

ورياحا
موصداتِ الأفق عجماء الخُطا لا تستثار
أن يُرَى السيفُ على متنىًّ قوّالاً بغير الصدق
أن أرَىَ تلاً من الاذعان والصبر ومن سمت البلادةً
ومن الغفلةِ والاصغاء للقول المداور
وأنا من كنت فوق الصهوة الحدباء ريحاً من سموم
يلهج السيفُ بكفىَّ قصيدا
مرسلاً من ألف عصماء نجيبةً
شربت من منهل الصدق وروّى شوقَها صَوْبُ الغمام
وتملّتْ
أوبة الفرسان بالنصر وبالفتح المبين
فاستمح لى يا أمير المؤمنين
اننى انسلُّ من بين السرايا
باحثاً فى الليل عن وجه أمير المحنقين
وخُطا الجندِ التى طاردتَها بين الشعاب

* * *

كنت أبصرتك كالفجر الذى ينسلُّ فى الظلمة
أمنا وسلاما
كالمواعيد التى تنداح فى النهر فيوضاً من مواسم
تُنبتُ الشمسَ على أيدى الرجال المجهدين
وتذيب الحزن عن ليل المهيضات الحزانَى
وتفك القيدَ عن ساعةِ يذوىَ الانتظار

* * *

كنت أبصرتك صدقاً كالنبوءة
تصدع الافك وتجلو عن مواريث البراءة
وتُميط الجدبَ عن وجه السنين النَّجِسات
وتصورت مداك الرحبَ دنيا للبراءات
فصولاً للمطر
وربيعاً للغمام
ومَرَايا لارتعاشات الأهِلَّه
بمدي الوعد الذى يصدق دوماً كل عام
عندما تُحْمَلُ من أرضى إلى الدنيا الثمار
كنت أرتاد على خطوكَ فى حُلمى مَرَاد الكبرياء
وأرى فى سمتك الفارس سمت النبلاء
وأحِسُّ الزمن المرجُوَّ قد أذَّن للصبح وجاء
غير أنى يا أمير المؤمنين
بَرقَتْ لى من لياليك سحاباتٌ كذوبٌ مفتراه
أظمأتنى فوق متن الريح أزماناً وما جاءت بشئٍ
ورمتنى بين أنياب اللظى المحموم أطوى البيدَ طىّ
لا يُواتينى ندىً أو ماءُ أو ظلٌّ غمامه
لا يواتينى صدى شجو حمامة
ودنت لى صورةٌ منك تَغَشَّاها الحَزَن
أن تُرَى حين تبوء المحنة الخرساء بالقول الكذوب
تتوارى فيك أصداؤك خلف الكلمات
وسُدىً يُفشيك للناس بيانُ الخائرين
فاستمح لى يا أمير المؤمنين
إننى استفتيتُ فى صمتك ما عونى فأفتى
حينما استفتيتَ فى النهر وفى النخل وفى السفح الجديب
سحباً غَرَثَى ظِماءً لا تجيب

وشموساً مطفآتٍ
وندىً أخرسَ لا يوحى بطَلٍّ فى الصباح
حينما استهديتَ فى ليل الحيارى المدلجين
لغةً عجماء لا تنطق بالحق المبين
فاستمح لى يا أمير المؤمنين
أن أرى فيك الذى ما كنت بالأمس أراه
حينما تُمسي العقيلاتُ بأرجائك سَبْياً مستباحا
وبراحا
تفتريهن كلابُ الليل سفكاً واطّراحا
وعيون العسس المبثوث للهمس ورصد الكلمات
تتّقى أن تَردَ الساحة أو تنساحَ للعَرض الزَّرىّ
خشيةً أن يُوهَنَ الأمرُ وأن يرتاع أمن الآمنين
فاستمح لى يا أمير المؤمنين
خارجّياً عدت
أولى عزتى سيفى وأحلام اليتامى الفقراء
وتباريحَ عِطاشٍ
يعصرون الرملَ كى ينداح سُقْياً
فإذا الرملُ حديدٌ لا يلين
وإذا مأدبة الخلق نفاياتٌ وطين
فاستمح لى يا أمير المؤمنين

* * *

خارجيا عدت
دارى مقلةُ الموت وليلُ المحن
وندامای وأصحابی اللظی والكلمات
وعلى ظهر جوادى المتعَب المرور بى

ابتنى كلَّ صباحٍ وطنى
والندى والرمل والسحبُ الملول المتعبات
إن دنا يومى بقايا كفنى

* * *

يا أمير المؤمنين
إن تكن طوّفتُ بى دهراً عصيّا
باسمك المعقود راياتٍ على متن الرياح
فاعتسفتُ الخيلَ والليلَ وسيفى
ودعاواكَ الجريئه
وامانيّك كى تبدوَ ساحاتٍ بريئه
واخيراً
إن تكن اردتنى الجندُ التى أغريتَ بى
وتباريحُ سنين مطفآت
قد أذبن الشحمَ واللحمَ واضرين المواسم
فعسى عن سوأتى يشفع لى
أننى متُّ على دين اليتامى الفقراء

سبتمبر ١٩٨٨

لو يسمعنى البحر

آهٍ لويسمعنى البحر
أقرأ أسفار الليل صلاةً للأمواج
لكنْ شجنى يسَّاقَطَ فى
يندا ح على أشرعة الليل
ينسلُّ كما ينسلُّ الموج حديثاً
ما بين مواجد عشَق يسبح فى أصداء النور
ويكون الصمت الموغل فى الشطآن
معذرة يا فاتنتى
كنتُ أوافيك غناء يوقظ طير البحر
يسَّاقطُ فيك جَنىً فى غير أوان
لَكنى يا فاتنتى
إن جئت أغنى
لا يسمعنى البحـر

يونيه ١٩٨٧

الحزن ... والنهر

حينما تبرز من أقنعتي
بسمتي المرخاة أنساماً وظلا
وتضاريس غناءٍ نَزِقٍ
وبشاراتٍ
وغيماً
وحقـولا
تنزوى الأصباغ في وجهى الذى صار أديماً يتشقق
ومَدَىً من حُرقة الليل الذى ينبت أنداء سخينة
وارتعاشات مُدَلَّاةً طعينة
وبكاء
تصرع الأحرفُ فيه الكلمات
يتنزّى من دمي فوق انكبابى
سمتي المشنوقُ بى
والمُدَلَّى من عروق الدمع مصلوباً على مرآةِ وجهى
يتلهّى
بالمباراة التى بين دموعى
وابتساماتِ عيونى المُدَّعاه
حينما أنشطر اثنين
صدوقاً .. وكذوبا

* * *

هذه الريح التى تنداحُ فى الليل صقيعا
يتلوّى
فى تضاريس المسافات البعيدة
ثم يأوى آخر الليلة مرتاعاً إلى أوردتى
هذه الريح التى تمرق ناراً وثنيّه
اصطليها
كالمجوسىّ الذى يهوى اصطلاء النار قُرْبَى
ايها الحزن الذى ما انفكّ ثأراً فى الضلوع
ظمأً يجتاح فى الليل ارتيادى للسكينه
رُدَّ لى النهرَ الذىَ كنتُ إذا آتيه أرْوَى
غاضَ فىَّ النهرُ وارتدَّ لهيباً فى العروق
فأذبهُ مرة أخرى ابتداء بعروقى
وانتهاء بعيونى الظامئات
جدولاً يُرْضِعُ قلبى
لحظة الميلاد فى الصمت الذى يُعطى خفوتَ الضوء أسرار السكينه
رُدَّ لى لونَ لسانى
كى تعود الأحرف المنكورة الوجه به خلقاً سويّا
وانشطارى بين وجهين استحالا مِزَقا
بعد ما ادمنتُ وجُهَىَّ ارتحالاً وأفولا
لغةً مألوفة الايقاع لا تنحاز إلا لدمائى
ايها الحزن أجرنى
من عيون الصمت والليل الذى يشرب دمعى
والذى يقتات فى الهدأةِ إطراقى وسلوايَ السكينه
رُدَّ لى منك المواعيد التى غادرننى
وتَمثّلْنَ لعينىّ بروقاً مستحيله
ايها الناسك فى أبهاء صدرى

المذيبُ الليلَ ترتيلاً وذكراً وخشوعا
مُدَّ لى من ساحة السلوى عزاء المُبْتَلين
واقمْ لى خلف ابهائك فى الليل صلاةً مستكينه
ذُرَّنى فى أعين الفجر دعاء مستطارا
وتراتيل ونجوى
تتهادى فى انسلال الضوء ضوءاً لعيونى
عَلَّ انداءك تَسَّاقَطُ فى جنبىّ برداً وسلاما
وشراعاً مُبْحراً فى الصمت
يمضى
يوقظ النهر الذى مات بصدرى
من سنين ..

بور سعيد .. نوفمبر ١٩٨٧

محاولة للوصـول

أناديه مشتعلاً فى النداء
ويأخذنى معه فى الرحيل الصَّدَى
وأنقب سور السكون العقيم
وأمعن مرتحلاً فى البدايات
لا تطفىء النارَ فىٍّ التأويل . لا يستبينى المدى المستثار
والقاه فى آخر الرحلة انطفأت فيه كل المواعيد
وانكسرت رغبةٌ فى المثول
والقاه منكفئاً فوق متن الأقاويل منسرباً فى اللظى والدخان
يراوغ فى مقلتىَّ التساؤل حين أراوغ فيه انتحال الوجوه
يحاذر فىّ التسارُبَ للشاطىء الآبق المستكنّ الصموت
وأحذر فيه صدى البوح أن يستحيل ارتحالا

* * *

هو الأوجه النافرات التى تختبى فى حنايا الفصول
وتعطيك من لونها الحائل المستبدّ
ظلالاً تأوَّبْن من رحلةٍ مستحيله
هو الموسم المانح الشمس اغنيةً للبوار
وللنهر أوبة كل الطيور الحزينه
هو البحر حين تسائله الريح عن هجره
للشطوط اليتيمه

فيمنحها لحظةً من طقوس اللغات القديمة
هو الخيل حين تعود محملة ببقايا الرجال
فيوهنها الليل أن تستكن غداة الوصول

* * *

تقصَّيتُهُ لغةً مشتهاةً بريئة
وساورته لحظةً من جنون المحبين
واندحتُ فيه مُنىً مترعاتٍ فصولا
فأنكرنى حين صافيتُه الوُدَّ واحتال كى تحتمينى العيونِ
وصرتُ لديه تراتيل من معجمٍ مستراب لدود
تحاببتُ حتى أذيب الركام الذى افترعته الأقاويلُ
وانهدَّ فيه الجلالُ القديم
فراوغنى فى الصدى المر ألفُ قئوول كذوب
وألفُ صدىً من مرايا عتيمة

* * *

تناوشته البوح . أفضى إليه ويفضى إلىّ
وينسلُ بى خفيةً خلف حائطه المرمرى الجليد
وامضى به كاشفاً سوأة العجز فىّ
ومنتضيا أحرفى اللامعات الصقيله
وراء احتماء السكون بحضن اللظى والحديد
فما ظفر القلب منه بشيئ
ومازاد أن حطّ فى مقلتىّ الحصا

وقيد المسافة فى ساعدى

فماذا لو أنىَ لا أملك العمر إلا حناياه بيتا
وأنى غداةً يُرَى الانتسابُ إلى الظل والبرق
والدِّيَم المترعات السَّكُوب
مَدىً . قربةً وانتشاء وسقيا
أظل أحاور فى الظمأ المستبد مقولاته المطفآت
فلاً أنتهى لسوى الأنهر الذاويات الصديَّة
وإلا إلى السحب المُرَّة المتعبة
وماذا لو انى لا أستطيع انتحال المواريث
لا أحسن السير عند اختلاف المعابر
ولا أفترى النسبة المدَّعاة الكذوب
لغير انسكاب الغيوم
وغير اندفاق المطر

* * *

وماذا لو أنى إن جئت أرحلُ لم أجن إلا
رحيلاً إليه
وإن جئت أنشد أفضى بىَ الشعر
والوتر المستهام المشوق
إلى الدمع يألق فى مقلتيه
يضُوِّى برغم افترار الأسى والجنون
حدائق مثقلة فى يديه

وإن أبْتُ من هجرةٍ مرةٍ موغلة
تحامت بى السفْنُ كل الشواطىء . كل المدارات . كل الاجابات
والأسئلة
لتقذف بَى مثخناً بالأناشيد والأغنيات
إلى مرفأ يترامى إليه

* * *

فيأيها الغائب الماثل الراغب العازف الجائع المانح
المستريب الودود
إلام أحاور فيك الصدى الغافى المستكين
فيقرئنى منك صمتُ النخيل العقيم
وَبوْحُ السواقى العجاف الصدية
تهاويَمك المالئات المدى بالأغانى الملول
إلام يواتيك خلف الرياح انسدال الغيوم
فلا أستبين انكسار القصائد فى مقلتيك
ولا بين جنبيك عصف السكون المريب
إلام تحاذر أن يومض الألم العبقرى
بجنبيك لحظة أن تصطفيك العيون
ولحظة أن يجتبى فيك حلم السنين
ولحظة أن يبرق الكشف بين السرائر
ويا أفقاً لارتحال الغيوم
ويا موسماً لاشتعال الجروح
سواء تحاميتنى أو تبوح
فإنى إلى قَدَر منك باق مقيم
وسوف يواتيكَ من مقلتى انسكاب الغناء القديم

نوفمبر ١٩٨٩

إغتيـــال

قَتَلْتَنى
واغتلتَ أنجمى
ودونما غضاضة
ولغتَ فى دمى
مِنْ ظهرىَ العُريان جئتنى بألف طعنةٍ خئون
هَوَيْتُ .. تشربُ الدماءَ من محاجرى
وتنطفى على حجارة الطريق نظرتى الكسيره

* * *

منسدلاً أمام مشهدى الأخير
ابصرتَنِى مُلَفّعاً
بثوب الانتفاء فى المطاوله
وماثلا
بقصة الحضور فى دمى المُوَثَّقِ الشهاده
وساعةً ارتميت
أبصرتُ فى عيونك الخئون نظرةَ المخاتلة
وعندما اهدرتُ مشهدى
ورحتُ أبتغى لديك سَحَّةً من المطر
لأنقعِ الغليل فى اندلاع نار الاحتضار
اهدرتُ أثماً شهادتى

وبعتها
رخيصة بلا ثمن
نصاعة الكفن
وعزةَ المثولِ فى العبارة المجيدة

سبتمبر ١٩٨٧

قال الفتى للشيخ

مولاى اجبنى
تعصرنى الحيرةُ .. يتولانى غبش الدرب المُوغِلِ فىَّ ظلاما
جئتك - أول ما جئتُ - أسيح بأرض الفيض
وأروِّى ظمأ القلب من النبع المنهلّ صفاء
أدليتُ بدلوى أمتح من لآلائك ما أسعفنى الجهد
فامتلأتْ روحي من أندائك وُدًّا
وتوضأ فى اللَّهَفُ الظامّىء فى هاجرتى
مِنْ نفْحِكَ إذ ينداح الفَىْء سحائبَ مترامية ظلا
حتى أحسبنى
حين استأذنتُك أن اترامى فى الأنحاء افيض بما استمنحتُ يديك
وأدور رسولاً مِنْ عالمك البَرِّ المترع سُقْيا
والمُشْرَعِ فى أبهاء القيظ عرائشَ ينبت فيها الظل
احسبنى كدتُ أكون نبيّا

* * *

والآن أجرنى يا مولانا الشيخ
بَشَّرْتُ الناسَ بما علَّمتَ فؤادى الصبر
قد قلتُ إذ استنفرنى فى الطرقات القيظ
وتواتَرَ ما ينسلك لديه الناسُ صفوفاً عُجلَى
عصفا مأكولاً فى طاحون لا يتوانى

وإذ استوقفنى دَهِشاً مأخوذاً مبهورا
لَهَبٌ يصَّاعَدُ من ادمغة المدفوعين على الطرقات الزَّلقة
لحماً بشرياً تُضَّرَمُ فيه النار
طوبَى للقلب المترع فى أوصاب المحنة سَكَنَا
المستسقى أفياء النعمةِ من أذرعة الشمس
طوبَى للوجه النافرِ من ملكوت الحزن
يستدنى ساعة ظِلٍّ فى ملكوت الصبر
ويمجّدُ وجه الرب المانح اجر الصبر مواعيد
لكنى ابصر يا مولانا الشيخ
من يُنكر فىَّ الوجهَ ومَنْ يستعجم فى القول
ويضيعُ على قارعة الدرب كما تنداحُ القطرةُ فى طامية الموج
فأجبنى يا مولانا الشيخ
لِمَ أبدو فى الأحداق الملأى وَصَباً وجهاً مغتربا ؟
ولساناً يَهْرِفُ لغةً مستدعاةً من أزمنة قصوى ؟
لِمَ يغدو نَبَضُ الحرف الدافق فى أحنائى وَهَجا
فى ساعةِ ما يتواصل بالأحداق التَّعْبَى
ظلّاً منطفئاً أو خطواً زلقاً منكفئا ؟
حدثنى يا مولانا الشيخ
علَّمتَ فؤادى الحكمة فاستسقيتُ النبع الدافق
من عينيك
وقرأتُ الوَرْدَ المورقَ فىَّ حدائق غُلْبَا
يَضْوِىَ قُدَّامَ دروبى شُعَلَا
وقناديلاً مُسْرَجَةً فى الكلمات النور
وتَبْدى قولك لى
مَنْ يُؤتَ الحكمة فى هذا الزمن المقرور
يؤتَ مقادير النعمة فيئاً لا ينقطع مداه

يتنزّلُ من أذرعَة الشمس تحايا
وكأنى حُزْتُ كنوزا ليست تفنى أبدا
لكنى يا مولانا الشيخ
حين تمادَتْ بى الخطوةُ فى أودية العمر المُضْنَى
ومضيتُ أبشرُ بالكلمات المستصفاةِ النور
لاحت لى الحكمة دنيا لا آلفُها
ناموساً يلهج فى قاموس الباعة والأسواق
وكتاب صلاةٍ يُعْبَدُ فيها دون الرب
ربٌّ مُتَنَامٍ كلَّ صباحٍ سعرا
فأجبني يا مولانا الشيخ
أنَّى يوّسعنى جهدىَ كى اترامى غيثا
وعلى أيَّةِ ارجاء ادورُ أبشرُ بالكلمات ؟

* * *

علّمتَ فؤادي يا مولانا الشيخ
انىَ لّمَا اتأمّلُ اغْنَى مِنْ اسرار الكون كنوزا
اتفرّدُ كى اتوحّدَ فى اشياءِ العالم
انسربُ إلى داخلها
ينسكبُ علىّ الصمتُ فيوضا
تحملنى كى تودعنى سُدَّةَ روح المَلَك
اتبينُ فى خفقات الكون صدى المعرفة الأولى
وأسيح لألقى الله مُضيئاً فى أروقة الكون
لكنى يا مولانا الشيخ
تقصينى عن أودية الصمت لجاجة هذا الزمن السوء
تنزعنى قسْراً .. تلوى بى

سكة أسفارى
وتُنَكِّرُ لى
اصداء الليل فلا أتبين تحت الأنجم دربى
حتى تَسْلُكنَى اعمى فى أودية الصخَّابين
فأجرنى إن توسعك الحيلة يا مولانا الشيخ

* * *

علَّمتَ فؤادى يا مولانا الشيخ
انى حتى امْثُلَ انساناً .. بشرا
سواه الله على شاكلة أكرم فيها الخلق
وعلى سَمْتٍ تتراوح فيه العزة مَعْلَمَ روح
انى لا انزعُ فيما يعرضُ لى
إلا عن ذاتى .. لا اتلبَّسْ أخرى
رَغَباً اوَرهَباً واستخذاء
لكنى يا مولانا الشيخ
اتلفَّتُ ابصر كل صباحٍ حولى
مَنْ يبرُزُ رغماً عنى
كى يُفْصِحَ لى عن ذاتى المتوجسةِ الحيرى
يبصم لى بصمة شفتى وتضاريس لسانى
ينطقنى ما لا أنطق
او يُبدينى تمثالاً يُبْدِلُ كلَّ مساء وجها
وانا مأخوذاً لا اتدبَّرُ فوق الساحةِ أمرى
فأجبنى يا مولانا الشيخ
اترانى ألقى عندك ما يعصمنى
لو انى رُمْتُ اكون أنا عنوانى يوما ؟

* * *

علّمنى حلمك يا مولانا الشيخ
أن أعفُوَ حين يُجَارُ علىّ
أن أبذُلَ بالسيئة الحسنى
أن اغدوَ لا يستنفِرُ فىَّ البطشُ سَنَانا
وأنا من زمنٍ لا أذكره الآن
ممتلئاً وُدّاً . سمحاً . ممتثلاً . برًّا
أعفو . أعفو . أعفو

حتى أنساني العفو شمائل معدودات شتىّ
أترَعَنِى فيضُك منها يوماً
يا مولانا الشيخ

بور سعيد سبتمبر ١٩٨٧

طائر الليل

لو أنّ الليل يكاشفنا
يُنْبينا عن ساعات الجلوه
لو أن الصمت يبوح بمكنونات الريح
كنا ادفأنا حِضْنَ القلب بنار السلوى
كنا ابحرنا فى أودية الثلج
نستدنيه أشرعةً قد تُدنينا
أو موجاً قد يُقصينا
لكنّ الليل صَموتٌ أبداً
والنَّسْرُ الطائرُ قد غَلَّقَ أسرار البَوْح
كنا نتساقى صمت الجرح دواء
كنا نتنسَّمُ جمرَ الريح
كنا نستوضىءُ خيطاً من ماعون الصبر
لو أنّا نقدر ساعةَ نوصَبُ أن نتشكّى
ان نقهر فى داخلنا الرغبةَ فى كتمانِ البوح
لكنّ الريح المُسْتَدناةَ عصيّه
والضوءُ بقلبِ الليل عَصِيّ

* * *

حيناً كنا نستنفر طائرنا الليلىّ
نُقصيه عن أفنية الصدر الملأى
لكنّ الطائر لا ينفك يئووبَ

يهج فى دمنا . يوغل . يورق كالصبّار
يشربُ من دمنا حكمة أن يتوارى فينا الليل
أن ينبت فينا الظل
أن يُطْفَأَ فينا وهج الساعات المحتدَّة بالنيران
ونئووب لنصلى جمر الأحزان المنطفئة

* * *

يا حزن الليل القابع فى ملكوت الصمت
رحلتنا انت
طائرُنا الموغلُ فى ادمعنا انتْ
يحملنا موجك للملكوت الأسنى
يدنينا من قارعة الشجن المر
لكنا نستبقيه فى اضلعنا برداً
ونجاهد ألا نفتح فى أفنية القلب الموهَن
نافذةً للأشجان المنسربة
نعقله فى داخلنا
نتعشق فيه دمَنا المورقَ ناراً
ونحاذر أن نتحامى فيه مَسَّ النار العبقة
يا حزن الساعات المستصفاة المجلوّة
طَهِّرْنا من أرجاس الليل المُشْعَلِ بالأنّات
وأنِبْنا شمعاً بلّورياً ينهلُ من صهباء الجمر
امنحنا ضوءَ المدلج فى بيداء العمر
علِّمنا حتى نقرأ .. وِرْدَ الصبر

بور سعيد - مارس ١٩٨٧

نشرت بمجلة الشعر ع ٥٨
ابريل ٩٠

الليل موعدنا

وهتفتَ لى : فى الليل موعدنا
أهلاً به وعداً مدى العمر
اوصلتَ حيراناً إلى ربه
ودللتَ ظمآناً على النهر
وشدا بأذنى من صداك صدى
ينساب موسيقا من العطر
أشهى من الأنغام يوحَى بها
للفجر من قيثاره السحرى
ورسمتَ لى نيلاً وأشرعةً
وحدائقاً وجداولاً تجرى
واضأت لى فجراً يضوع بما
انبتَّ فى عينىَّ من زهر
يا واعدى بالعيد أشواقهُ
موصولةُ الأفراح والبشر
ساعاته الملأى بأسراره
اسكرتنى من غير ما سُكْر
وتركتنى أُحصى دقائقه
دهراً وبالى من خُطى الدهر
دنيا من الأحلام أبدعها

ومدىً من الأشواق فى صدرى
أدريه إن أشعلتَهُ ظمأً
فإذا لاقيتُك عدتُ لا أدرى

* * *

عودتنى لما تُواعدنى
تنسابُ فىَّ نسائماً تسرى
لكنّ قلبىَ حين أسأله
صبراً أراه يضيق بالصبر
ألقيتَه فى النار محترقاً
أترى يُطيق حرارةَ الجمر
يا مُسْبل العينين بحر هوىً
يفديك لو تلقيه فى البحر

* * *

ودنا لقلب الليل موعدنا
ودنوتَ كالأضواء فى الفجر
وتلفتت فى الليل أنجمه
ورنت إليك بأعينٍ خضر
وحملتُ كلَّ الشوقِ أغنيةً
أشدو بها لعيونك السمر
من كل ما تَغْوَى الفنون وما

يفترُّ فى الأشعار من سحر
حتى التقت عيناى مغرمةً
فى مقلتيك بعالى المغرى
اسمعتنى والليـل موعدنا
همس الهـوى أحلى من الشعر

ابريل ١٩٨٨

قواميس الحجارة

إفتحوا الآن قواميس الحجارة
واسألوا الأحرف عن معنى الجسارة
ودعوا الصخر يُجلِّ سِرَّهُ
عندما ينهلُّ وعداً وبشارة
وانظروا طفلَ الأساطير الذى
تبرق الشمس بعينيه شراره
وسلوا ابن العشر كيف اندلعت
ألفُ عامٍ من مواريث المرارة
وارتمت بين خطاه غضباً
كلما أوغل فى دربٍ أناره

* * *

زَنْدُه الغَضُّ ويمناه وفى
قلبه الطفلِ الذى يحضِن ناره
يحمل الليلَ صريعاً فجرُهُ
وعلى كفيه مقتولاً نهارَه
كان ينهلُّ التياعاً وأسىً
لعصافير الحقول المستثارة
وجراءِ الحقل إن غيل بها
والفراشاتِ وأصداف المحارة

علّموا كيف ينهلُّ مــدىً
من جنونٍ تشـعل النقمةُ ثاره
حينما اشتاقوا إلى قلب اللظى
عمره البكرَ ودنياه وداره
والأمانِيَّ التى ما عاشها
والرسومات التى زانت جداره
والهوى الطفليّ والقلبَ الذى
طالما أصغى له جاراً وجاره
فانتضى الصخر سلاحاً فاتكاً
عَلَّمَ الدنيا به كيف الإغارة
حاور الصخرَ بقلبٍ مُولَعٍ
بعدما ألغى مع اللعبِ حواره
فمضى للصخر يَنداحُ صدىً
لم تَحُزْهُ قبلُ أصداءُ عباره

* * *

أيها الطفل ازْونا . سافر بنا
للمدى الموغلِ لَم ندرك بحاره
واحك عن دربك والليل الذى
يشعل النقمةَ ناراً ومنارةً
علِّمْ الأجيال أنّا لم نكن
غير أصداء حروفٍ مستعارةً
حينما كنتَ لدى الرّدْع وفى
أعين الموت سفيراً وسفارةَ
أيها الطفل احتجز كل الخطا

وامْحُ من ذاكرة العجز اصطباره
نَظَرْ الموتَ إذا الموتُ بدا
لجبانٍ قدراً يخشى انتظاره
وأرِ الدنيا بإيقاعِ الحصى
فوقَ رأس البغى فنّاً وحضارةً
فهى ما زالت وفى القلب هوىً
من مَثَار النقعِ تستهدى غُباره
اجفلت عبر زمانٍ موجَعِ
تارةً تغرى وتُزْرِى ألف تارةَ
كلّما عنّتْ لها أوصابُنا
مُرَّةً خلف دعاوانا المُثاره
فُرقةٌ . بغضاء . عجزاً . ثقةٌ
فى الذى يشحذ للشاةِ شفاره
تزدرى تاريخَنا . تُزرى به
تطمس النورَ إذا يغشى غماره
إن سما زهوٌ إلى يَعْرُبِهِ
او تولَّتْ عزةُ التِّيه نَزارَهَ
وإذا عُدْتَ صبّياً ألِقاً
سار فوق الجمر واستحلى مساره
ذَهِلَتْ حين تراءى فيلقاً
من حَصَى الساحةِ يستصفى شعاره
يا له من نبأٍ فى دفترٍ
أن تُرَى فوق الغيومِ المستطارة
ملكاً يختال فى موكبه
وله جندٌ واتباعٌ وشاره
وصدىً فى كل أفقٍ ينتشى

كلما أوحى إلى الدنيا انتصاره
فاحتكمْ واحكمْ بما شاء الحصى
فلك الآن مقاليدُ الإمارة

* * *

يا دياراً رَبعَتْ حتى استوى
فوقَ مَتْنَيْهاَ الندى يشعل ناره
كيفما كانت نداماكِ فما
كنتِ في هولٍ ديارًا مستجارة
قد غدا سيفُكِ لما نَفِقَتْ
خيلُكِ النُّجْبُ بلا ساحٍ وغاره
قُنْيةً مِنْ زمنٍ كان به
لشفا السيفِ اقتدارٌ ومهارة
صدئت فيه التواريخُ سُدىً
وانزوى في حسرةٍ ينعى اقتداره
وتولّاكِ زمانٌ قد وَهَى
عزمُه الخائرُ أن يرعَى ذماره

* * *

يا دياراً أسلمت خاتِلها
سِرُّها الموصَدَ يفتضُ ستاره
اطفئى شمعَكِ وانهدّى حصىً
وترامَىْ في لظى الهول جماره
اسلِمى كلَّ صِبًى قبضةً
مِن ذُرَاكِ الشُّمَّ تستنقذ عاره
وإذا مات فشُدِّى قبره
فغداً يحياً لكى يُرجِعَ داره

مارس ١٩٨٨

شعر

تَغَرَّبَ في لغة الكائنات الغريبة
وأبحر في سُدَفِ الليل وانساب خلف الرؤى المستَكنّة
وباح له الطيرُ والريحُ بالأغنيات التي لم تلدها شفاه
وصار له البحرُ والرملُ والأنجمُ الراحلاتُ
وشوقٌ إلى الرحلةِ المبتغاة العنيدة
وللبَوْحِ والنزقِ العبقريِّ
وصوبُ المواعيد والمُزْنةُ المرتجاه
لأرضٍ تواعد فيها المطر
قواميسٌ من لغةٍ مستحيلة
ومملكةٌ للبراءاتِ وللعشقِ المشاكس
وأحرفَ نار توقّدَ فيها اخضرار المواعيد
وساحت بهًا مقلةٌ صادقتها المواسم
فما أصدق القول حين تسيل المحاريبُ
حين يُضيء افترارُ النبوءة
وحين تشي الأحرفُ المثقلاتُ بغيم المطر
وبالأوجهِ الراحلاتِ إلى ساحةٍ لم يزرها النهار

* * *

تلفعته خِرْقةٌ ساومتني الرياح بها للمدار القَصِيِّ
فباح لقلبي بأسراره حين ناءت به واستحال الوصول

واسمعنى من اناشيده المرسلاتِ
على حافةِ السُّدَّةِ المرتجاه
نشيدًا رأيت به الكونَ والله . أبحرتُ للعالمين

* * *

شربتُ على راحتيه مُدَاما
أحلّتْ لقلبىَ معنىً حراماً
أرتنىَ الذى كان حلماً قصيّا
وأدنت لقلبى الذى كان مُستنفراً من زمان النبوءة
وكان لدربَى كنوداً عِصيّا
ومَثّلَ لى جسداً من ضياء
ليالىَّ إذ كنتُ امتدُّ خلف التسابيح وهما
لو كنتُ أمازِجُ خَطْوىَ خلف اضطراب المواعيد
بوعدٍ قصىٍّ عَصىٍّ جديد
فعدتُ به أرقُبُ النجم فى السُّدَّةِ المدلهّمة
وأُرْخِى المواعيد . أبذلها للمواسم
وأجنى بها الثمرَ المستضاء البهىّ
وأبْجِرُ فى الصمت أملاً منه سِلالى الفقيرة
رؤىً مورقاتٍ وشعراً وأورادَ عشقٍ بريئة
واملأ أجرانِىَ البورَ مما استفاق له النهرُ
وانفضَّ عنه القتام
ومما استحال على راحتيه
عفيّاً وضيّاً
جَنىً عبقرياً
تندَّى بماء الفصول البعيدة

* * *

شقيتُ به
واستحال البكاء ندىً من دموعٍ عصيّه
إذ استنفروه
لكى يزرع الغيمَ فى الحبر والظلَّ فى مرفأ القاعدين الكسالى
إذ استبرأوه من القسم المانح الليلَ تسبيحة العاشقين
وصبرَ المُوَاتين للرحلة المستكنّة فى القلب شوقاً
وإذ علّموه التضاحك فى موقف الحزنِ والحزنَ فى حدقات الوجوه البشوش
وإذا أنطقوه
بغير الذى كان ترنيمة الحزن فى مقلتيه
وكان الصدى المرُّ خلف الشفاة العجاف
وإذ كان خلف المتاريس درعاً
فعاد وقد غادر المرفأ المستثار المشاكس
إلى المرفأ المستكنّ الودود
فغادر فىّ الربيع الذى كانه .. وارتحل

سبتمبر ١٩٨٧

الميلاد .. فى أزمنة الموت

الخروج الفاسطينى من بيروت
اغسطس ١٩٨٢

وها هى تمت فصول الرواية
واسدل ليلُ الأسى فى النهاية
وعدتم .. أشقاءه من جديد
لترووا عن الذئب والدم فوق القميص
وتنتحلون المعاذير زيفا
وتستمطرون الدموع الكواذب فوق التراب
« فإنّا ذهبنا به مَيْعةً
وعدنا به مِزْقَةً من ثياب
ولوثَةَ دم »

* * *

اشقاء يوسف
يا من نفيتم اخاكم إلى ظلمة الجب فرداً
اما يعلم الآن فيكم أخ
بأن الذى غاص فى الجب انتم جميعاً
وهيهات من ظلمة الجب أن تخرجوا

* * *

أشقاء يوسف
أيقدر فيكم أخٌ أن يقول
إذا لهفة الحزن فى عين يعقوب تسأل
أيقدر أن يرفع الزيف والكلمات الصفيقة
لتهتك فى القلب نور الحقيقة

* * *

أشقاء يوسف
لقد كان يحلم فيكم شموسا
تضىء له ظلمات الزمن
وتدفع عن ساعديه الوَهَن
تشدّ الخطى المتعبات الكليلة
لتدنُوَ من ليله المستكَن
تباشيرُ لحظَته المستحيلة
وها هو ذا الحلم أضحى سراباً
وأضحت ينابيعه المترعات الخصيبة
خراباً خراباً

* * *

أتلك كما كنتمو تحلمون النهاية ؟
شبعتم نكاية ؟
شبعتم زراية ؟
شبعتم ترصون فى المحفظات الأنيقة
مقالاتِ شجب تريقون فيها حُمَيّا الغضب

وتندلعون انتّحاباً وحزناً
فمن يعلم اليوم ما قد يكون
لعل السنين
تسائلكم يوم يورق فى ساعديها الغضب
فتلتجئون إلى مائتى المحفظات الأنيقة
وتستنطقون الحروف الصفيفة
فتبرأ من فورها ساحة المذنبين

* * *

مريدى النبّى يسوع المسيح
بكم بعتم الأرض والعرض والوطن المستباح الجريح
لوجه يهوذا الزرىّ القبيح ؟
بكم بعتم الدار والمزرعة
وفى الزمن المر كنتم معه
لكم لحمُ أكتافه أوله
سقاكم دمه
وعدتم تبيعون وجه النبىّ
ببخسٍ كبيع سفيهٍ غبى

* * *

بكم بعتمو طرقات المدينة
لأقدام جيش التتار اللعينة
وكم من سبيّه

أبحتم . سفحتم دماها الزكيّة
وأهدرتم الكبرياء العصيّة
فما أحوج الليل حين تضاء شموع المدينة
وتنسّل من مقلتيها الدموع الحزينة
إلى أن تضاء وجوه المرايا
بجيش السبايا
وتولم للأعين الجائعات
مآدبها من لحوم الصبايا

* * *

أحباء فى الأماسى الرخّية
وفى الزمن المورق المستظل
حملتم إلينا
هداياكم المترعات السخيّة
حروفاً مزوَّقة منتقاة
عن النصرة البطل العنترية
عن الشجب يقطر سُماً نقيعاً
وتحترق الأرض فيه جميعاً

* * *

حملنا هداياكم المترعات السخيّة
إلى حيث ينبت فينا الغضب
ليالىَ سهدٍ ورعدٍ ودم
سنابل . أجنحةً من لهب

نطير بها فوق متن الرياح
ونعدو بها فى الدروب الحزينة
ليستيقظ الفجر ريّان يوماً
ونشهد فيه انبلاج الصباح

* * *

أحباءنا فى السنين الجديبة
وخلف الخطى المجهدات العصيبة
بحثنا عن الوعد فيما تضم الهدايا
عسى أن نرى
لبعض الذى حُمِّلتْ من بقايا
وجدنا حروفاً حروفاً حروفاً
جيوش مُنىً قد تلاقت صفوفاً
تُعاد ويا للأسى والهوان
بليت . وكنا قديماً . وكان

* * *

حراسَ جرحنا الذى ما زال ينزِف الصديد
يا وجه أمسنا الممزق الشريد
ونور فجرنا المضمّخ البعيد
أقرأ فى أسفار موتكم صحائف الميلاد
وأشهد اندلاعة المخاض فى المرافىء الحزينة
وأقرأ التاريخ مرتين

لأشهد انكسار جرحنا المهيض مرةً
ومرةً
لأرصد انتفاضة الأرحام بالأجنّة العنيدة
فأرضنا
وإن تنافرت ظلالها
لما تزل مرارة السنين تستفز جروحها القديم
وما تزال في العيون قدرةٌ على التطلع العنيد
وفي الأكف ما تزال تنحنى
أصابعٌ معقوفةٌ على زناد

اغسطس ١٩٨٢

قيامة النهر

أفق أيها النهر واستل من بين شطيك أحقابك
المطفآت الشموس
أنِلْ دورة الشمس فيك المدار الذى ما استدارته بعد
وحدّثْ نخيلك باللغة المصطفاة الجديدة
وإن بادرتك السحائب فاستفتها حكمةً ما وعتها الأساطير يوماً
وما انسكبت قبلُ للنخل فى عنفوان

* * *

أفق أيها النهر وارتدَّ عن غفوةِ الزمن المستبّد
وأيقظ ترانيمك المشتهاة القديمة
وخُضْ لجج الليل وانسلَّ عبر معابد طيبة واستفتِ
أسرارها المستكنّة
وسامر شخوصك فى هدأة الليل واستوحها عزّها
الملكىّ القديم
وسلْ هامة الصخر حين ارتمت فى تجاعيدك المستحيلة
حزناً نبّيا
دماً مترعاً بالأناشيد منسكباً فى التواريخ فَيْئا
وحطم قيودك كى يقرأ الطين كل رسائلك المستكنّة
فقد طال فى الطين شوق اللقاء مع الزمن المستفز القديم
وعادت حقولك معشوقةُ النهر مجفوّةً خلف وعدٍ صدٍ لا يجىء

* * *

افق أيها النهر وانسلّ فى الطين ناراً محمّلةً بالتواريخ
والبوح للجزر المستحيله
والق إلى الساحل المنزوى خلف سمت العبوس
صلاةً مخبّأةً فى صهيل الخيول
وفى أذرع المستكنّين تحت الظلال
وفى النار والصخر والماء والظل والعاصفة
وهُزّ إليك جذوع النخيل
بما فى خباياك من نبأ مستكنٍّ جسور
تُسَاقِطْ جَنىً لم تذقه الفراعينُ قبلُ
وظلاً يسافر فى كل أرضٍ صديّه

* * *

أجب أيها النهر يا ابن النبوءات يا ابن المواعيد
يا ابن الشموس المطلّة من أعين الطير دهرا
لماذا شموسك لا تستفيق سوى فى الهزيع الأخير؟
وأنت الذى كنت تنداح فى الشمس ناراً دءوبا
وتسقى بها فى جذوع النباتات كل الطيور الصوادى
وأنت الذى كنت فى الضراعات خَلف الطقوس المجيدة
وشوق الغناء الذى مفعماً يستهل الحصاد
لماذا خيولك منهومة تستحث الرياح
وليست تئووب إلىّ آخر الشوط إلا غداة انفضاض المواسم
وإلا غداة تفرُّق كل المُجازين عبر الدروب
وأنت الذى كنت قبلَ انفلاق الأهلّة
وقبل انعتاق المواعيد من ربقة الأزمنة
تسوّمها مرسلاتٍ عتاقا
فتأتيك بالأنجم الماثلات المواعيد بشرا

لماذا اندلاعك فى العشب عاد انتظاراً مُلِحّاً دءوبا
لما فى اعتساف المواقيت من أغنياتٍ مَلول
ومازال فى الطين ألف مدىً مستثارٍ رهيف
يُجنُّ اشتياقا
إلى رفقة اللهب المستفز القديم

* * *

أجب أيها النهر لا تحملنّك السنين العجاف الضوارى
على الصمت حين يمور السؤال
فها هى ذى مُرّةٌ تستفز السنين
وتمثُلُ قدام أبواب طيبة رؤيا الملك
تحدّث عن قصة البقرات العجاف
وما من صدىً عن رؤى بقرات سمينه
ولا عن نبوءة عام مجيد
يغاث به الناس أو يعصرون
وما عاد عصر النبوّات يثرى
بتأويل يوسف أو بفتاه الحفيظ العليم
فماذا وصاياك اعددن للسنوات البخيلة ؟
وماذا فتاك الذى أنحلته المواجد وابتعثته الرياح العصيّه
يقول إذا ما أتى للملك
وما عاد منك إليه بسقيا
ولا بصدىً للوعود الكذوب

* * *

أفق أيها النهر واستفت كهانك الأقدمين
وقلّب صحائفك المثقلات القديمة
وسامرْ وصاياك تلك التى أثقلتها المواعيد يوما

وسلها لماذا النخيل استحالت سرائره الموصدات
حروفا من اللغة المرة المستريبه ؟
لماذا التعاويذ فى الطين أضحت طلاسم سرٍ قديم
تداجى فما عاد تصدق فيه النبوءه
لماذا تقاويمك المترعات الفصول اقتحاما
تنافرْن حتى استحالت خطاها المديده
تواريخ للظل حين يجور عليه النهار ؟
أجب أيها النهر لا يحَملنْك انتفاء المعاذير
أن تولج الصمت فى الأسئلة
فمازالت الطير فى كل عام تجىء
لتسألك الماء والعشب والظلّ والأغنيات
أما زلت تحتال برديّةً كل عام
مضمّخة بالتعاويذ والأدعيه
لتوقظ فيك المدى الغائر المستكين
وتحرق بين يديك البخور انتظاراً لليلة عشقٍ جديدة ؟
إذن فتخايلْ وتِهْ أيها النهر عُجْبَا
جميلاتُ مصرَ انتظرنك منذ الرحيل المديد
لتختار من بينهن مُعوّذةً الماء والسنبلات
تقاطرن عبر الضفاف اليتامى الحزينه
يُمَنّيْنَ بالماء والظل والفاكهة
فأسرج خيولك وابعث سراياك وانهلّ فتحا جديداً
وأوقد على الطين نار احتراقك . ميعادَ ايزيس أشعل تجّليك فى الماء روحا
يبُحّ لك فى الطين يومُ القيام المجيد

يناير ١٩٩٠

مرثية .. من سفر النبوة

لأنّا زماناً من السفر الموغل المستبدّ
على أنهرٍ زاوياتٍ صديّه
ذهلنا فلم ندر كيف تساس المواعيد . تندفق الريح فى الأشرعة
ولم نستفق لسباق الأهلة
ولم نولج الضوء فى الليل فى مستهلّ التواريخ والأزمنة
ولم نعرف القول زاداً لقافلة المسغبين
ولا وتراً صارخاً بالغناء
ولم نتمنَّ على الله إلا الذى بات أغنية مستكنّةً
وَوِرْداً من العشق نقرؤه كل عام
نبَارِكَ فيه الدوائر تنسجنا كل يوم خيوطا
لأننا حننّا إلى أن نعيد فنون البكاء القديم
نغادى بها الريح خلف الطلول
نصير رماد الحكايات والأحجيات
دخان الموائد بعد انفضاض ليالى السمر

* * *

وها نحن عدنا لنقرأ سفر النبوءة
طويلاً تحامته ابصارنا المتعبات الكليلة
أشحنا الخطى عنه حين اصطفانا
ليبرز بين المواعيد زيتاً ونارا

ولكنه عاد يفجؤنا بالقدوم المرير
يُنقِّرُ فى مُقَلِ الليل يمزع عنها اعتناق الوَسَن
ويعقل فيها انعتاق الزمن

* * *

وها نحن عدنا نقرأ سفر النبوءة
ونحلم بالزمن القادم المستحيل
ليحمل عنا تكاليفه الحانيات الظهور
ليعقد تفاحة الحلم فوق أسِرَّتِنا المسدلات الغيوم
ويُغَرينا بالتقاط العناقيد والذَوْب فى اللجج المستحيلة

* * *

تقول النبوءة . تندلع الأرض بالنار . تغشى البراكين
وجه السماء العنيده
ويصعدُ قابيل منتضياً شفرة الموتِ . منتشياً
ببريق الشمس
وتأتى من الحيرة المرسلات المدججة المستشيطة
لتبحث عن سلب الأرض . تحتازه قوةً واقتدارا
وتنساب فى قصة الحمل المستخفّ الذى عكّر الماء
أجدادُه من قديم
فتنهدْ تغلبُ مثخنةً بالأراجيف مطلولة بالدماء البريئة
وتربع بكرُبن وائل مزهوةً بانكسار النجوم
وتنداح باقى العشائر فى التيه تبحث عن نُدَفِ الظل عن نقعة الماء
عن ثغرةٍ فى جدار قديم
وها هى ذى النارُ تقذف كل صباح سُلَيْكا

ليفعل فعلته المفتراة الخئون
وما من فتىً انجبته الحرائر تندلع النار فى مقلتيه
يغار على السيف أن توأدَ النارُ فى أضلعه .
فيغدو إلى الثور لما تعاف البقر
سُلَيْكُ الذى كان فى أعين الفقراء الحزينه
مواعيد للمطر الغاسل الخوفَ والمانح الخبز والمصطفى
فى المساء الغناء
وها هى خنساء تفترع الكتْبَ تنسلُّ بين المتون القديمة
تبعثر فى وجْهَةِ الريح أنىَّ استدارت بكاء
جدائل عضماء ما انحلّت العمرَ إلا بكف الرياح المغيره
وصدراً تأبّى على البوح دهراً عصيًا
وتنشد إذ يجمد الدمع فى مقلتيها
لتنعى أخاها الذى مثخناً فوق صدر الرمال
يسامر أشلاءه فى الموانى البعيدة
وتذكر أيامه المالئات المواعيد عيدا
تنقر فى مقلتيها الرمال المهيجةُ كالنار فى العاصفة
ليبرز من كل ثقب سؤال حزين
تغادى بها عندماً يستبد الرثاء
أخاها الذى مصعداً فى السماء البعيدة
يحاذر إلا انتفاضَ المواعيد بالثأر والسيَر فوق حواف الأسنّة
لقد كنت فى شفتى ازدهاء الحروف النبية
بكل الذى فى عيون القصائد
وقد كنتَ فى هامتى ألَقَ العزةِ اليعربيّه
وخيط الضياء الذى شدّها للسماء
ففيم انطفاؤك فى ساعة الوهج العبقرىّ
وفيم انزواؤك خلف المتاريس والزرد المستبيح العيون

وفيم ارتواؤك من أعينى المطفآت الحزينه
وفيم انتشاؤك بالخمرة المستبيحة عطر الخدور المصونه
إذ احتلت النخوة اليعربية حتى البقايا
أشاوس هذا الزمان الدمىّ
وجىء بها كى تراقَ على ساقى امرأةٍ يعربيه
إذ تستباح الصبايا سبايا
ولا يستجيب لنوح عمورية المعتصم
لأن على أذنيه استراح عواء النواعير
واستوزر النزق البابلىّ القديم
وأن يديه تشاغلتا عن عناق الأعنّه
وعن قبضة الصارمِ الهندوانى
وهز الكعوب التى تُنْتَضَىَ للصدام
بفك سراويله عند منعطفٍ للطريق
وراء الخلافة أقعى على بابها الذئب يستبطىء المرسلات العتاق
ويستنفر الليل والريح كى لا يطول انتظار البريد
وأغفى ابن شداد خلف الخيام الوئيده
عن الكسْرةِ البكر حين يلاعب فيها الأسنّة
ويستنقذ الليل ما استلبته المغيرات صبحا
ليحلم بالنوق والحب والليلة المرتجاه
وعبلة فى جانب الدار تنعى
صباها الذى افترعته الرياح

* * *

أتلك التى نستبيح بها الزمن القادم المستثار
طوالع للنار تجلو المواقيت تملؤها بالقدوم الجديد

تعود بنا من منافى التوابيت . تقرئنا سورة العصر
تنزعنا للعناق المجيد
وتزرعنا مطراً فى المواعيد . كتْباً . أناشيدَ مزهوةً للصغار
وزيتاً يضىء القناديل فى الأمسيات
ويا شعراء العراق المموّه باللغو والزيت والأدخنه
قرأت قصائدكم يا رفاق
كُوىً من تباشير . أصداء من عبقٍ لا يريم
وجُبْتُ أماسيّكم مثقلاً بالحنين الذى يمنح القلب
ما شاء من أغنيات
وقلّبت كل دواوينكم عاشقاً
تفرّد بالعشق صار مدىً من تواصل وُدٍّ قديم
ولكن رأيت بآخر صفحة شعر وآخر بيتٍ وآخر معنىً
مُعَنًّى حزين
دموعاً تألّقَ فيها الصدى المرُّ . عوداً من الفل
يذوَى .. يموت

اغسطس ١٩٩٠

أغنية .. للحزن

مرثية قتيل مصر فى بلاد غريبة

لأن زمان الأفول اصطفاك مواعيد للسخط
وأشعلّ من دربك الضوء وانهدَّ فيك اصطبارا
وغال السنين التى أينعت فى يديك اقتدارا
وعلَّم عينيك فنَّ اقتحام الخرائط والنومَ إغفاءةً فى المطاراتِ
كى لا يفوتَ أوان الرحيل
وألقى على قدميك المسافات عجماء لا تحتفى بالحساب
ولا تستكين ليومٍ يغاديك فيه التوانى
لأنك أضحيت فى الأرض سفْرَ الرحيل الملول
وقصة بذل الوجوه لقاء مواعيد عجفاء بور
لأنك أصبحت يوم الغياب البعيد
ويوم التمنى
ويوم المدى الموغل الشوق فى الانتظار
لأن بأرضك لم تجنِ شمساً ولا أنجماً لا ولاظل دار
تموت قتيلاً غريب الدموع غريب الصدى وغريب الكفن
تفتش فى النزع عن وردة الحزن . تبحث فى لونها عن وطن

* * *

لأنك آثرتَ أن تبتنى
لغيرك داراً ولا دار لك
وآثرتَ أن تستطيل العرائشَ فوق الصحارى

ولا ظلَّ لك
وان تفجُرَ الأرض حَبّاً جنيّا
وماء رفيقاً وعطراً أنيقاً
تضوّع في كل صدر وجيد
وتاهت به الانجم الراقصات
على لونك الحائل المستفزِّ
وادمتك سخريةٌ واقتحاما

* * *

لانك بعثرت حكمةَ آبائك الأولين
عن الصبرِ والجلَدِ المحُتَوى فيك كلَّ العصور ،
وعن كنزك المانح الأرضَ ملحَ التواصلِ والكبرياء ،
وعن لحظة الظمأ المستبدة
تباركها لحظة الدفق والانهمار

* * *

لانك حُملْتَ عبر السنين اصطفاءك للجمر جِذْناً تقيّا
وروحا نقيا
فأشعلتَ في كل افقٍ مدىً من عطاء السنين
فأمسى على كل شطٍّ مناره
وكنتَ سفيراً به للحضارة
تموت وحكمَةُ آبائك الأولين
قلادة عشق نبيل بجيدك
وعطرٌ تجود به من تليدك
وصوتُ صلاةٍ تزفك للأرض قربى.

* * *

فيا عائداً من وراء القتام
ومرتحلاً فى الندى والغمام
وممتشقاً دمك الكبرياء الوطن
تعوّذك النيلُ والنخلُ والمعبد الساحلىُ القديم
وعمّدَك اللوتس المنتشى مشرعاً فى الضفاف
وحُفّتْ بك الأغنيات التراتيل والأدعيه
وآواك فى حضنه الرمل تحت السفوح
إلى أن تبوء بعمرٍ وليد
فتضرب فى الأرضَ تبحث عن مستراد جديد

نوفمبر ١٩٨٩

تداعيات الوهم ... والهزيمه

تنكسر الظلال فى العيون
فتنأى المسافات أو تقترب
وتصبح الرؤى
تلاً رمادياً من التصوّرات

* * *

أقرأ دورة الأشياء مرتين
فمرةً
أستقرىء الملامح المتسّقة
أجوس فى سياقها القديم
ومرة
لأعبر المسافة الجديدة المتعسفة
ما بين بدء البدء والنهاية
فلا أرانى أبْتُ من متاهتى العتيمة
إلا بلحظة موغلةٍ سقيمة
مما تثير قبضةٌ من الرماد
ومن تداعى الوهم والهزيمة

* * *

دمى وصـبوتى
وعمر إخوتى
وبيدرى وشاطىء وأفقى
ونهرى المؤثق فى التدفق
وحلمىَ المبتور من سنين
ورعشة التولُّهِ المندفق
قضيةٌ
ما هيأوا لها قضاتها
ولا أتاحوا قبل موعد المثول
شهودها العدول
وما أضاعوا ساحة المحاكمة
لكنّ كل يوم
وسط الشواهد المشبوهة المؤثّمه
وفى اندلاع ساحة المساومه
تساقِ أنجمى
وتمثُلُ البريئة المتهمه

* * *

قـالوا :
« ما نرانا نقول إلا مُعَادا »
فلتصمت كل الألسنة
ولتطوَ الأعطاف على شهقات الجرح
سبقتكم بالأنّات الموتى
وتداعى فى الأوردة ركام الزمن المر
لكنّ اللحظة يا أحبابى لا تتكرر

واستنفار الزمن الموغل
للأحزان الغرقى فى خارطة القلب
لايتكرر
ويقيناً
لا تتشابه فى دمنا بصمات الحلم
ولا فى أيدينا أوتار المعزف
فدعونى يا اصحابى أنفخ فى قصبات الريح
علّ يتناثر لحنى فى أودية الليل المرهف

* * *

قـالوا :
من زمن ولّى
غاضت أنهار الأحبار
لكنّ دمى المغموسة فيه أقلامى
مازال يسيل
مازال الجرح القابع فى أحنائى يستنطقنى
يوقفنى
كالمذنب لما يمثُلُ للتحقيق
ويُدَلّى من عارضة الصمت دمى
محكوماً بالاعدام
لو انى لا أتنفس جرحى
لو انى لاالفظه فى الكلمات

* * *

أنا الملك
ذو السبعة القصور والبلاط والحشم
أبيع تاج الملك ذا الجواهر اليتيمه
والحلية الخلابة القديمة
لقاء درهمين
من يشترى ؟
يأيها التجار .. أيها السماسره
ياباعة الأشياء والحلى المزيفه
أبيع ملكى . سُدَّتى . رعيتى
سباعىَ المؤلفه
لقاء درهمين
من يشترى ؟
قد كنت لا أبيع موقف الجلاله
بكل ما فى الأرض من نَشَب
وكنت يومها
مستعلياً بعزة المقاله
ممتطياً صهوَة وجه الريح
لكننى زللت مرتين
يوم انحنيت للرياح كى تمر
ويوم عشت لحظةً
على تخوم بَيْن بين
نُفِيتُ عن مملكتى
أُقصيتُ عن رعيتى
ما عادَ لى الأشياع والمراسم
أُلقيتُ فى الأسواق والمواسم
أعرضَ وسط الصبية المشردين

ووسط مرتادى الجموع للتسلّى
أبّهتى وخاتمى وحُيلى
وتاجىَ المزدان باللُّجَينْ
لقاء درهمين
لأننى زللت مرتين
يوم انحنيت للرياح كى تمر
ويوم عشت لحظةً
على تخوم بيَنْ بين

* * *

ابريل ١٩٨٦

الدموع .. الوطن

يأيها الوطن الذى بعثرتُ أوردتى لديه
بعثرت تذكارات عالمى القديم
وجثوتُ بين يديه معتمداً أناشيد الصحارى
وقرأت حوليات كل الأقدمين
وأهبتُ بالفرسان تحت النقع والأصداء والزمن المُسَجَّى
إنى ارتحلت إليك فى كل التواريخ القديمة
وحملتُ مصباحى
أفتش عنك فى كل الصحارى
وعلى التخوم المشرعات على نواصى الأزمنه
عانيتُ .. واستجليتُ فى كل الدروب معالم المدن القديمه
ورحلْتُ خلف صدى الحكايات الأثيمة
استقرىء النخل المهاجر فى السراب
أمضى أدقق فى نقوش المشربيات العتيقه
وأدور أبحث فى الحروف المطفآت على الشواهد والقبور
فتشت عن دمك المعتّق فى مجامرك القديمة
فتشت فى ألق المدائن . فى القباب وفى المآذن
ولدى حواضرك التى تُفنى الصباح إلى الصباح
تقتاتُ شعر الليل والأفراحَ والعشق المتاح
فتشت أقبية السحائب عن أسنتك القديمة
واحتزت أبحرك التى صدئت عليها الريح وانطفأت منارات المرافىء
أتنسّمُ الأمواج . أبحث فى انعطافات الرياح

عن رحلة الالق المنوّرة العيون
وعن القلاع المشرعات إلى مدائن لم تزرها الشمس من زمنٍ بعيد
واصخت عَلَّ صهيلَ خيل الفتح واستشرفت ألوية الجموع

* * *

يأيها الوطن المشرَّدُ فى التواريخ العتيقة
إنى انتظرتك أن تعود
أن توقظ الأظعان والفرسان والخيلَ المسوَّمةَ العِرَاب
إنى انتظرتك ان تهلَّ من السحاب
او أن تطلَّ من السراب
لكنهم
ذبحوك واعتسفوك أوردةً خواء
ومضاً تحجَّر فى عيون مطفأة
لهباً يموت رماده
خلف انطفاء المدفأة
ومضت خطاى إليك وسط مقولة الزمن الرديئه
وعداً تجندل فى النسيئة
مطراً تحَجَّر فى الميازيب الصدينه

* * *

ورايت سحنتك الغريبة
قمراً رصاصياً مُغَطًى
بلزوجة الدم والتراب
كرة تلوح كانما سئمتك اقدام الرياح
بعد المباراة المدممة اللعينه

فرمتك ملهاةً على شفة البراح
ورأيت سحنتك المهيبه
ورايت سمتك فى ملامحك الكئيبة
فى سوق محترفى اصطياد البُلّهِ والاغراء
والمستضعفين
يتداولونك مثل آنية رخيصة
يَبْدُوْن زُهداً مُدَّعى
ويختفون رغبة وولعا
ويساومون عليك بالكلمات والحيل المريبه
ابناءك المتحرّقين إلى السراب
ثمناً لسحنتك الغريبة

* * *

يأيها الوطن الذى صليت كلَّ صباى له
جرّبتُ كل العشق فيه
زرعتُ فى دمىَ الوله
غالوك واختصروك أغنية ملول
نجماً تضرَّج فى الأفول
ومضوا إلى الشمس المهيضة فى عيونك
كى يسألوها لحظة الدم والبكاء
وخواء أغنية تنوح على الطلول

* * *

وقراتُ نَعيَك فى الصباح
خلف العيون المطفآت على الدروب

وعلى هشيم النخل .. تحت سنابك الخيل المغيره
وعلى تضاريس النهار المثقل القسمات بالحيل الكذوب
وعلى ارتخاء الحلم واستمراء مضغ الألسنة
وعلى ارتحالك فى التواريخ العفاء المزمنه
سِنةٌ تخامرها سِنة

* * *

يأيها الوطن الذى غالوه فى الليل الحزين
ما انداح حين أتى الصباح
وترٌ على شفةٍ حزينه
يزجى عزاء الشمس للكبد الطعينه
ما انهلّ دمعٌ فاستراح
خلف اصطخاب الريح بالنبأ المشاع المستباح
ابكيك يا وطناً
تألّق فى الجراح

مايو ١٩٨٦

المتنبى يغادر المدينه

معذرةً يا كافور الاخشيدى
لم يبق لدىّ خيار إلا أن أتداعى للترحال
ضاقت بى نفسى
أن أمضى فى أمنية المنتظرين شعاعاً ليس يبين
فأذن لى أحزمْ أمرى
مُرْ صاحب جندك أن يكتب فى دفتر سفرى
إذناً بالرحلة خلف حدود بلادك
فلعلى ألقى عند بلاد الله
ما يعصم قدر الشاعر فىّ
من زمن يعطى غوغاء الطرقات
ما كان حقيقاً
أن يُعطَى للسائرة خطاهم فوق دروب الحكمة

* * *

إنى فى دارك يا كافور الأخشيدىّ
أعمل خداماً عند جباة الأموال من الأسواق
وأجيراً فى أيام الراحة
أتلمس خبزى فى طرقات الكذابين
وأريق حيائى
كل صباح قطرة دم

* * *

ذخرى من زمن الحكمة وتراثى من زمن الصدق
كتبى . وأشعارى . ما ادخر من الأفكار
تاريخى فى ساحات المجد
وتألق دهرى فى أروقة الملك
وصيالى فى حلبات القولِ ومنزلتى عند الأمراء
ما عادت تجدينى شيئا
لما يرجمنى بوح الصمت المثقل بالكلمات
فى كل صباح ساعة أبرح دارى

* * *

إنى أرتحل وراء حدودك يا كافور
لبلاد تعرف حق الشعر وحق عناء القلب
وبلادٍ تقدُرُ أن تبقى الأفكار سلال طعام للفقراء
وبلادٍ لا يتطاول فيها الحجر الزاعق بالأصباغ
ليوارى ضوء الشمس عن السابلة المقرورين
ونسيمَ الليل البارد فى أزمنة القيظ

* * *

فى دارك يا كافور الاخشيدى
ما عاد يزين بلاط الملك
كوكبة السادة من أرباب الحكمة أو فرسان الشعر
وعيون القوم المؤتلقون نجوماً زُهُرا
المستعلون مكانا
المنهلُون بيانا
نحّاهم عن أبهاء المجلس يا كافور

معتنقو حكمة هذا العصر
« فى هذى الدنيا
يعدلُ ديناراً من يملك هذا الدينار
وسلاحُ تعرف أنك تغلب به
يتعين أنك تضرب به
وبنسبة ما ترتاد دروب الحيلة والتدبير
توليك الدنيا ما تهواه متاعا »
ناهيك بمن يملكها طولا
وبمن يحرثها عرضاً
وبمن يقبضها أرضا
وأولو الألباب بدارك يا كافور
أقباس الحكمة مرتادو آفاق النور
ما اعتاد الواحد منهم حتى فى أيام اليسر
أن يملك أكثر مما يوسع فى مؤنته يوم " د

* * *

إنى طوّفت بلاد الدنيا يا كافور
ونزلت منازل مختلفات شتى
لم أبصر إلا عندك بلداً يرخص فيه الذكر
ويُسامُ كرام الخلق مهانة أن يتعرَّوْا فى الأسواق
يتخطاهم نافلة الناس سراعاً من أطراف الأعين
ويميل بهم ميزان الدانق والدينار
فأذن لى يا كافور الاخشيدى

مر صاحب جندك أن يكتب فى دفتر سفرى
إذنا بالرحلة خلف حدود بلادك
فلعلى ألقى عند بلاد الله
ما يعصم قدر الشاعر فى
من زمنٍ يعطى غوغاء الطرقات
ما كانَ حقيقاً
أن يعطى للسائرة خطاهم فوق دروب الحكمة

اغسطس ١٩٨٥

تجربة حب

أيها الواثق من صولته ... ثقة البأس بروح همجىّ
قد وضعتَ الحب فى النار سُدىً ... ووضعت السيف فى قلب نبىّ
كيفَ تغتال زمانا رائعاً ... كيف واتاك هواك العبقرىّ
إن لى بأساء لا تعرفها ... إنْ تجَرُ يوماً ببأساء علىّ
صولةً عمياء لا أزعمها ... إن ما أزعم روحٌ شفقى
يورق الحب علىَ أفنانه ... شمسِ وُدٍّ نورُها فى مقلتىّ
كنت أنساب شعاعاً رافقاً ... كالندى يدفق فى العود الندىّ
صلةُ الأحباب عطرٌ فى دمى ... مَدَّنى فيهم وأدناهم إلىّ
أغنياتى إن تُمتْ أوتارُها ... يورق اللحنُ بهم فى شفتىّ
تلك بأسائى إذا ما يدَّعى ... صولةَ البأس من الناس دَعِىّ
أيها الماثل كالنار لظىً ... أىُّ معنى غاب عن قلب ذكىّ
لى قَدْرٌ باذخٌ تُزْهَى به ... هِمُ الشعر التى انساحت لدىّ
لستُ أحتال على دنيا بها ... لا ولا أمضى بأحلام بغىّ
وَسَمَتْ بى كبرياءُ حرةٌ ... دونها عصفُ الرياح الهُوج بىّ
كلُّ ما فى الأرض لا أعطى به ... ذلك الكنز الذى بين يدىّ
هذه الشعلةُ تزكو فى دمى ... وأصلى فى سناها القدسىّ
كبريائى وطنٌ أُزهِىَ به ... حينما تُشْرفُ أوطانى علىّ
هى ما يملكه شاعرٌ أودت به ... طعنةُ الغدرَ قتيلاً وهو حىّ
هيِ إن امْحَلَ بالعمر مَدَىً ... كلُّ ما يحييه من زادٍ وَرِىّ
كنتُ أرجوك لعهدى موئلاً ... ولقلبى كنتُ أرجوك الولىّ
فإذا بى لا أرى منك سوى ... سطوةِ المولى وإدلال الوصىّ
وبجنبىَّ جوادٌ نافرٌ ... ليس يرضاك سوى خِلٍّ وفىّ

* * *

يـا خيـالاً كلمـا طفت بـه ... طاف بى طيفٌ من الحزن عتىّ
خَـلِّ عنك التيه لا تختل بـه ... وتمـاديـك بـروح نـرجسىّ
إنمـا نحـن اخِـلّاء الـهـوى ... والهوىُ يذْنِى صفيّاً من صَفِىّ
يا لها ذكـرى غواشى انـدلعت ... كاندلاع الشـك فى قلب حفىّ
أبْتُ من بعـد زمانٍ ضـائـع ... ليتنـى أبْـتُ بشىء فىَ يـدىّ
عدتُ من ذكراه قلباً موجعـاً ... ليتـه عاد من الـذكـرى بشىّ

بور سعيد يوليو ١٩٨٧

غربة الشموع

إلى روح القاص البورسعيدى الراحل مصطفى حجاب

شمعة تصطلى وأخرى تذوب ودمٌ دافقٌ ودمعٌ صبيبُ
واغترابٌ مع المواجد سعياً خلف معنًى تُضاءُ فيه الدروب
وحياةٌ يذوبُ فيها اعتناقاً وهو رغم العناق روحٌ غريب
يذرع الأرض والسماء ويجثو يسأل الغيبَ أن تبوح الغيوب
علَّ فى البَوْحِ خاطراً عبقرياً إنْ تمادى به الخيالُ الخصيب
يطمح الناسُ كلُّ حىٍّ لدنيا وبه للضنى طموحٌ عجيب
إنْ تناهَى إلى الرضا ذو رجاءٍ فهو دون الرضا ملولٌ دءوب
ليس ترسو به السفينُ ولا تثنيه عن دربه الرياح الغضوب
يتحدّى النكالَ لا يتّقيه وهو دون النكال عودٌ رطيب
كلُّ ما حاز من متاعٍ كلامٌ وأمانِىُّ خادعاتٌ كذوب
ليس يُجْزَى جزاءها وهْو حَىٌّ فإذا غاب فهو نفحٌ وطيب
حين تقتاتها العيالُ كفافاً لا تفى خبز يومها لو تطيب
وبها تعمُرُ الممالك فنّاً عبقرىُّ الرؤى وتغنى الشعوب
هكذا كان من قديمٍ ويبقى ذلك الفارس الجسور المهيب
إنه ابن الشعاع يندأح نوراً وابن ليل الهموم . ذاك الأديب

* * *

ياشعاعاً من التباريحِ والوجـ ـدِ يغيبُ الضياءُ أنَّى يغيب
صادَقَ الفجرَ حين يألقَ فى الأفقِ والقى له التحايا الغروب
والأغانى التى بها الطير تشدو كلما شاقها مساءٌ طروب
صَبَّها الله فى حناياه موسيـ ـقا يناغى بها الحبيبَ الحبيبُ

أيها العازفَ النشيدَ غناءً ‏ ‏ أين منه الهزارُ والعندليب
ذاك قيثارك الندىُّ محاريـ ‏ ‏ بُ صلاةٍ تهيم فيها القلوب
كلما هدَّها غناءٌ تولَّتْ ‏ ‏ فإذا أنت بالغناء طبيب
وإذا أنت قُبلة الشمس للكو ‏ ‏ نِ تمادى بها الفضاءُ الرحيب
أيها المبدعَ الأقاصيص يختا ‏ ‏ لُ بها فنُّك البهىُّ القشيب
لك فيما تروم من عالم الأحـ ‏ ‏ ياء مَجْلَى وإنْ تناءى قريب
تودِعُ الروحَ فى الشخوص فتغدو ‏ ‏ كلما شئتَ خاطراً تستجيب
وتُحيط اللثام عمّا توارى ‏ ‏ خلف ما تشتكى وما تستطيب
فلك الناسُ صفحةٌ من كتابٍ ‏ ‏ وبك الفنُّ ماثلٌ لا يغيب

* * *

يا كتاباً من المواعيد والأسـ ‏ ‏ فار والهجرة التى لا تئوب
ومن النارِ فى لظاها التباشيرُ ‏ ‏ وفيها التوجُّسُ المستريب
طفْ بكل الدروب وارحل وهاجرْ ‏ ‏ مثلما يرحل الشراعُ الغريب
وإذا شئت أن تعود لتلقى ‏ ‏ رفقةً شاقها إليك المغيب
فستلقى الرفاق عند الروابى ‏ ‏ حينما يورق الكثيب الجديب
وسنلقاك فى عيون العصافيـ ‏ ‏ ـر وفى السنبلات لما تطيب
وستلقى الكلام ما زال رطباً ‏ ‏ لم يُحاذِرْ به الزمانُ العصيب
فهو ما زالَ وعْدَنا حين ننأى ‏ ‏ وصبانا الذى إليه نئوب

فبراير ١٩٨٨

تساؤل ؟ ! !

يا وطناً
يبيعك المتاجرون بالكلام
والمتاجرون بالمشاكسة
بلحظةٍ
من البروق والخدر
لمدمنى السفر
على بساط الريح للمدائن المهاجرة

* * *

يبيعك العصاة فى المواسم المضيعة
ويشتريك بالمنى هواة الانتظار
فلا مواسم الضياع تنقضى
ولا قوافل التجار
تلوح خلف مقلة النهار

* * *

يا وطناً
يحرقك الإبحار فى المغامرة

يذروك كالبخور فى المجامر الخئون
فتصطليك لعنةً
عيوننا المسافرة
لكنّ ما تزال فى دمائنا
بقيةٌ
موسومةٌ بميسم البلادة
تنحطُ فوق جرحنا ضمادة
تعيذ كل جالدٍ وما جلد
من شر كل حاسدٍ وما حسد
فقل لنا
متى تفيق يا وطن
متى تعيش لحظة المكاشفة
متى يئووب حلمك الملول
متى تعيش لحظة الوصول
فتنقضى مواسم الترحال والسفر
وتشترى
ولو لمرةٍ
مواسم الغيوم .. والمطر

بور سعيد - ابريل ١٩٨٧

في انتظار رسالة ..
لم تجيء بعد

عجلتُ إليكِ،
أستبق المسافات البعيدة
وأرحل فى الرؤى والنعيم والزمن الذى لم يأت بعد
ألملم وعدك المزهوَّ من خلف السواقى
جنىّ ريَّان لم تمسسه يد
وأمشى فى ركاب الشمس
ألمحها
إذا ماتوقظ النوّار
وتمنحه اندفاقَ العطر والخيلاء والثوبَ الموشّى
وأسأله
ليفرغ فىَّ بعضاً من عطايا الشمس
أتيه به مخايلةً .. عبيراً وانتشاء
وأبحر فى عيون الطير
أنتظر المواسم

* * *

عجلتُ إليكِ
يفتش وهمىَ الملهوفُ فى وهج الحروف البكر

فقد عوَّدْتِ قلبَ الطفلِ فىّ
إذا أقبلتِ كالحلم الندىّ
يجوس خلال دنيا ما ألمّ بها خيال
وَلُوعٌ أنتِ
أن تأتيه بالشيء الذى لم يؤت بعد
وبالكلماتِ ما ألفت معانيها الحروف
تحيَّر .. كيف يؤتى المرءُ فنَّ البوح بالكلمات
فتغدو مركباً للشمس .. معراجاً إلى الفردوس

* * *

عجلتُ إليكِ
يا مطر الصحارى الجدب
يا ألق الليالى المدلهمَّة
أنقّر فى زوايا القيظ
وأرشف مائى المحلوب من قبل انسكاب النعيم
وأقرأ موعدى فى الشمس
وفى الموج الذى ما زال ينتظر المرافىء
وأركض فى مروج الليل
أستبق الطيور إلى عناق الشمس والأزهار
وألقط من سناها البكر
مكتوبى المسافر للصباح
وأشتله ربيعاً فى حنايا القلب
لا يعتاد دائرة الفصول

أبريل ١٩٨٥

رسالة إلى طائر مهاجر

يا حبيبى
وأنا ما زلت أدعوك حبيبى
رغم هذا الوسن الماثل فى عينيك والمغرى بأحلام مديدة
رغم هذا الزورق الماضى مع الليل إلى أرض بعيدة
وإلى دنيا لعينىّ وعينيك جديدة
غير أنى
لم أزل أعثر فى جنبىّ إن ساحت يداى
بهداياك التى أهديت يوماً
والتى حمّلتها عطرك يوماً
بيماماتك نشوى
تألف الركن الذى أويتَ من ساحة قلبى
تتناغى كأليفٍ لأليف
وكشلالٍ من الضوء رفيف
وبهذا الدفتر المملوء شعراً
من دواوين المحبين القدامى
وغناء السمر الممدود فى سفر الأغانى
يا حبيبى
وأنا ما زلت أدعوك حبيبى
أولا تذكر
ما سافرتُ آتى بجنى الأنجم يوماً
دون ما كنت إلى الأنجم وربى

ما تراميت على الشطآن أحصى أغنيات المتعبين
واعيذ البحر أن يصبح قتّاراً بخيلاً
دون أن تغدوَ فىّ الوتر المُرْخَىَ بأنات الحزانى
وترتيل صلاة المخبتين
وإذا ما استافنى الرمل وأودى بى هجيرى
أولا تذكر كنتَ الظلَّ ممدوداً على ساريتى

* * *

يا حبيبى ..
مالك اليوم كأنى
بهواك المالىء الأعطاف شوقاً
كان ظلاً حسرته الشمس حين امتد بالكون النهار

* * *

كانت الريح لنا والشمس والآنام والصبح وعطرُ الشفق الليلىّ
واحات غناء
كان فينا الغسق الموسوم بالعشق تباريح الليالى المطفأة
كان صوت البحر أهزوجتنا المرخاة من قلب عناقيد التدانى
كم بكرناها معاً
وسهرنا معاً
واحتويناها مُنًى . شوقاً . بكاءً . أدمعا
كيف خُيِّلْتَ إذا باكرتَ دونى
وإذا ساهرتَ دونى
وإذا غنيتَ فى الريح تباريحك دونى

أن تحوز الشمس والليل وعشق الغسق الموسوم دونى
كيف لم تدر بأن الشمس والريح وعطر الليل موسيقا
متاحة
ومباحة ..
للعصافير وللطير جميعاً
فانتلق ما شئت أن تغدُوَ فى الأعين فذًا وفريداً
وتنقّل بين أفنانك مزهواً سعيداً
وأنِلْ كل مساءٍ
من تفانينك فى الصبوة إيقاعاً جديداً
فسألقاك على غصنىَ يوماً
غَرداً بالزمنِ المورِقِ ، والمخضرٌ فى جبينك عيداً
زقنى إذ كنت لى
يا طائرى الآبقَ من ليل غنائى ..
وبكائى ..

اكتوبر ١٩٨٩

إلى مسافرة

أفيئى علىّ الشموس الضواحى ... ولى بقايا الأسى عن جراحى
وقولى بأنك ما كنتِ يوماً ... بغير المنى فى عيون الصباحِ
وغير العذاب الذى فى دروبى ... وغير الضرام الذى فى اجتياحى
وقولى بأن السنين اللواتى ... حملْنَكِ عبر انداح البراح
تأوّبنَ قافلةً من عطاءٍ ... وأمطرنَ بى ديمةً من سماح
أنا فيك أسطورةٌ للتغنى ... وفى مهجتى أنتِ عصف الجراح
وملءُ دمى أنتِ ملءُ انداحى ... إلى عالمٍ مفعمٍ بالمِرَاح
غداة ارتحلتِ كطيرٍ غريب ... طويتِ شفاً النهر تحت الجناح
ولملمت كلَّ شموسِ الروابىَ ... وغادرتِ بالعطر كلَّ الأقاحى
وأوليتنىِ سَنَةً لا تجودُ ... وآويتنى فى مدىً مستباح
تخلت به شقشقات العصافير ... مكلومة لعويل الرياح
فقولى سبتك الأعاصيرُ حيناً ... بمغدىً توليته أو مَرَاح
وناوش قلبَك عبر الليالى ... تهاويُل مسنونةٌ كالرماح
وأنك حطمتِ أسر القيود ... وقاومتِ عصف المدى بالصباح
وعُدْتِ من السفر المستراب ... بقلبٍ ظمٍ وعيونٍ وِضَاح

* * *

أهيّءُ كلَّ صباح مع النهر ... والزهر والعطر لى موعداً
وأقْدُمُ من سهرى العبقرىَ ... ومن سفرى فى المدى مجتهدا
ومن حُرَقِ الليل .. من عصفه ... بكل الذى فى يدى موفدا
وأحلم أنكِ عبر المروج ... تمدين لى بالتحايا يدا
وأمعن حتى أراكِ انسكاباً ... مع الغيم تستبقين المدى
وحتى أراكِ انصباباً من الشمس ... روحاً يشع بنور الهدى

وينثال بى الحلمُ عبر انسيابى على إثرِهِ موغلاً مصعدا
وحتى يخيَّل لى اننى ارى كلَّ صبحٍ له مولدا
وكم راح فيكِ التصوُّر يبدع وما شاء من فتنةٍ واغتدى
وحين انجلى الليل عن وهمه رأى الباب من دونه موصَدًا
فعاد حسير المنى مثلما يعود المنادى برجع الصَّدىَ

* * *

يحدثك النهرُ عن وِرْدِهِ وكيفَ ارتمى فى مدىً متعَب
وتُنبيكِ فى الشاطىء الطيرُ عما تلاقيه فى الصبح والمغربِ
ويمضى بكِ البحر فى قصةٍ عن الغائر الثائر المُغضَبَ
عن الريح مجنونةً فى الموانى وعن راحلين بلا مركبَ
أعيدى المواسم للنهر حتى يفىء إلى الشاطىء المُخصَبِ
افيئى عليه انسكاب الغيوم بمُنهَلِّكِ الدافقِ الصَّيِّبَ
وردى إلى لغة الطير شوق العصافير للبيدر الطيب
هبيها مدىً من غناءٍ وريفٍ وساعةَ عشقٍ بقلب صبى
وعودى من التيه طيراً غريباً تأوّب للوطن الأرحب
تُلاقى المدى اذرعاً للعناق تموج مع الشمس فى موكِبِ
فهذى رعاياكِ إن ترحُبى وهذى ضحاياكِ إن تغرُ بى

ديسمبر ١٩٨٩

عن الشعر .. تسألنى

كصدىً مُشتعلٍ بالكلمات .. بسمت الملوثين وثوقا
وكمن تبدو لى ذات ولاءٍ بادٍ للأفكار
تسألنى وهى تعابث فىَّ غرور الشعراء
ماذا لو أنك عن أتراح القلب الموهَن
عن أوصاب الظهر المحنىِّ المكدود
رقرقت الشعر عيوناً فى أزمنة القيظَ
ورفعت ضراعة أن ينسدل الغيم على قارعة الشمس
فتواتى زمنَ الصخر سوانحُ من أغنية الريح
ماذا لو ترنو المُقَلُ التعبَى تبصر فيك شعاعاً
تعقله خلف عيونك لا يتبدّى نوراً
لو تعدو الأيدى المتهاوية على أصداء الصمت
فتلامس فى كفيك العشبَ وتُسْقَى من عينيك الماء
ماذا لو أنك كنت بقلب النار حفيّا
فَمَهَدْتَ لها ما بين ضلوعِك ظلاً لا تأكله الريح
تتفيؤه فى صدرِك ساعةُ وصلٍ ظمأى

* * *

يتواتر فيك الشعر حنيناً موصول الأشواق
وندىً منهّلاً من أوصاب القلب المُضنَى
يتكسَّر منك الضوء عليك

تنسرب الفكرة منك إليك
يتوحّد فيك الشعر عصيًّا مفتوناً نزقا
تترامى عند تخومك صمّاء لغاتُ الأشياء
لا نبصر إلا ما ينداح شعاعاً من أفنيتك
يلقيك شجىً . أتراحاً أو أفراحاً نشوى
لكن يتوافر فى الطرقات صدى أنّات الموسومين
وأشعة ضوء القمر المعتم فى الأضلاع الصدئة
وخُطَى الموءودة فوق دروب الليل خُطاهم رَهَقَا

* * *

لكنى يا سائلتى
يُنطقنى قلبى
يُنْبِتُ فى شفتىَّ شموساً ظمأى
ويريق على أشرعتى البيض تعاويذ البحر المرور
أبحر فى سُدَفِ الليل . أغنى الصبح نداء
وأغنى لغرابيب الليل السُّود
إنى لا أسأل قلبى حين يُراود فىَّ الشعر
أن يوقد لى تنُّور الحكمة فى الكلمات
أو أن يسقينى الجمر عصائر مستصفاةً أَلَقَا
فأدور بها رأوِيَةً فى حانات الليل
لكنى قد أسأله أن يصدقنى حُلُما
حين يداجينى وجه الأحرف والكلمات
أن يعصر فىَّ الألق النازف من ملكوت الشعر
أو أن يقرئنى لغةَ الطير وسورةَ نزف الريحِ
وقصة بَوْحِ الغيمة للأشجار

أن يومض فيَّ نجوماً لا تطفئها الريح
اتلمّس خلف هداها السيرَ على مدرجة العشق
ادنو . أتدلّى . أعصر كرمى خمراً للأحباب
وأدور أُنادِم كلَّ مساءٍ عشقاً
فأنا إذا أمشي طيراً نزقاً
أو ريحاً تعزف موسيقا الشجر المفتُون
أو صوتَ عذابٍ طاغٍ يركب متن الليل
ويسيح بكل جُنانٍ مُحترقٍ لحناً مغتربا
افأغدو يا سائلتى
صوتاً منفياً عن ملكوت الشعر ؟
مَزْريًا بى ؟
رصَداً مطروداً من قافلة الأوّابين
ويصير هباءً لونُ الأحرف والكلمات ؟!

اكتوبر ١٩٨٨

أبالشعر تغتال فى النهر وردا

وحين اعتلتك السراطين غاضت بعينيك كل البحار العميقة
وصارت مرايا من الملح والرمل كل رؤاك العتيقة
وحين ارتقتك المياه التى عمرها من ليالى السفوح
تطامن فيك اشتجارك فى العصف وانكسرت موجة العنفوان
تقزّمتَ . صرتَ مدىً للتأوُّل . صحراء للنقع . سيرة حلمٍ تداعى ..
ومات
وكنا نظن اعتلاءك قبة هذى المدارات
وإيثارك الشعر مملكةً للنبوءة
وديناً توشحتَه بالجلال العتيق
وقصة عشقٍ طلٍّ عَتىً
ستؤويك عند انسدال الغيوم
إلى حضنه الدافىء المستكنّ
بقلب الحقيقة
وفى الأعين الوارفات الصديقة

* * *

وبادرتَ بالشعر تزرى به
تسوم به فى مزاد السبايا
لقاء دُمَىً شائهاتٍ عرايا

وحلم كأحلام ليل البغايا
إذا رُبحتْ آخرَ الليل نبح كلاب الدروب الشريدة
وباعت به
مواريثها من زمان العفاف القديم

* * *

أبالشعر . هذا الجموحِ العصيّ
وهذا المدى المانحِ الكونَ سرَّ انبلاج البراءة
وسرَّ التواصُل عبر اللغات العصيّة
وزادَ المُنيبين للعشق . راحلة المُدنفين السُّكارى
أبالشعر يغدو ائتلاق المواعيد . يغدو جلال العهود القديمة
مقايضةً للسِّلَال التى أثقلتها المواسم
بما تحمل الريح بعد انفلات الحصاد العقيم
أبالشعر . هذا النبىّ الحفىّ
وهذا التقىّ النقىّ الودود
وهذا الذى حينما يبطىء الغيم يوماً
وتذوى على شفتيه الوعود
وحين تئوب العصافير عطشى جياعاً
وسِرْبا مُضاعا
بكل الذى فى مداه يجود
أبالشعر تغتال فى النهر وِرْدا
وبالشعر تسفح فى السفحِ وعدا
وتزعم بعدُ
بأنك كنت نبياً مسيحا
وقلباً جريحاً

تحمّل من وَصَب الشعر ما حُمِّلَتْه الرواسى
لكى يغدَو الشعرُ أقمار كل الليالى العَبُوس
وأوتار كل الأماسى الحزينة
وتزعم بعدُ
بأن انحناءك فوق ارتعاش المدى بالقصائد
تمادى به العنتُ المستبدُّ
لقاء افتداء بنيك اليتامى
أولى الشعر من أخلفتهم حطاماً
مواعيد فَيْئك عاماً فعاماً
وحطّت ببابَك طول المدى لا تريم

* * *

ولكن .. على رسله سيدى
فهأنت جربت كل الرواحل
وأولجتَ ليلاً بكل الدروب
وأخرجت كل الذى فى الجراب القديم
فما انبهر القوم منها بشئ
ولم تجن غير رثاءٍ زرىّ
وإلا مكابدة القفز فوق الملاعب
فعد حيث كنتَ وكنا رعايا
لهذا المليك المهيب الجليل
وإلا فعد رايةً للأفوال
ومرثيةً لانكسار القصائد

ديسمبر ١٩٨٨

إلى مكابرة

حنانك سيدتى . أرفقى
فديتك .. لا تسرف فى اعتساف المقولات
ولا تفزعى طائرى المستكنَّ الوديع
دعيه بخلوته المطمئنة
يسربله الغيم . يمطره راحة المتعبين
وتؤويه أكنافه الوارفات
وتقرئه سورة المرحمة

* * *

تغرَّب وارتاد كل زوايا المسافات
وطاف بأرجاء كل المرافىء
ليحضن فيها الشموس المضيئة
ويأتيك بالأغنيات البريئة
فإن كان أزرى به الموج يوماً
وطوّحت الريح بالأشرعة
وإن كان أحصى غداة الوصول
بقاياه بعد الإياب المهيض
فما عدّ غير النوايا الأنيقة
صدى باقة الأغنيات
وساعده المنتضَى كالشراع

وذكرى كلون سماء الغروب
وصدر مُدمَّم
ودنيا مرصعةٍ بالندوب
فما قصر الباع . ما انطفأت جذوةٌ فى الضلوع
وما خبت الشمس فى مقلتيه
ولا انهدّ طوقٌ
ولا ذاب خلف المساء الشموع

* * *

حنانيك سيدتى أرفقى
فديتك . لا تسرفى فى التجنى
فماذا عسى يفعل الطائر المستهام
إذا استعصت الريح وانبهم السير خلف المدارات
لقد كنت كلّفتِهِ العمرَ مسغبةً وارتحالاً
وأظمأتِ فى قلبه الشوق للأبحُر المستبدة
وللظل خلف اندلاع الصحارىَ
فدار مع الشمس والريح والملح والمرسلات العتاق
وما عاد إلا بليل المحاق
فكفى عن اللوم لا تجرحى فى العيون
تواصُلَ ليل الأسى والشجون
وجوهرة الصمتِ واللحظة المستكنَّة
فما زال منذ انطفاء المدار
يطير به التوق والانتظار
للمستك البرّةِ المشفقة

لدى الانكفاء على لحظة الألم المطرقة
فإن تجحد الغيمة المرتجاة
سعيراً تدفق فوق الشفاة
فمن أيٍّ ما طرةٍ يستقى

مايو ١٩٨٦

جادك الغيث .. وماذا ؟

جادك الغيث إذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالأندلسِ

* * *

ثم ماذا
عن زمان الوصل فى أرضٍ حزينة
حلّقت غِرْبانُها السود على سُور المدينة
وسبتها سطوة البغى اللعينة
فهوت مخنوقة الحلم رهينة
وطعينة
ولقد أُمْسِى وما يعصفُ بى
غيرُ حزنٍ لزمانٍ تَعِسِ

* * *

أيها الغيث متى ترميك ريحُ
وثرى أرضىَ ظمآنٌ جريحُ
ودوالينا عجافٌ
ظلها فى القفرةِ الجدباء مرمىٌّ طريحُ
لم تعد تعصر إلا دمعها قوتاً وريّا

لم تعد تومض فى الأعين شيًا
أىّ غيثٍ يا ترى نسأله
يوقظ الميْتَ بقلب الرَّمَسِ
ولمن نسأله الجود
لمن ؟
لثرى بيروتَ
أم للقُدُسِ ؟
نحن ضيّعناه
أم ضِعنا به
أم تحيّرنا على أبوابه
تتهرّى مقلتاه مِزَقا
جف فيها دمعه واحترقا
اترى يوماً سنبكى حُلُما
نحن ضيعناه خزياً وعمى
ثم نتداحَ ونستحى زمانا
قد رماه خورَ العزمِ إلى
وَهَن الكفِّ وكبْو الفرس

* * *

يا زمان الوصل بالأندلس
فى بلادى مزقت أشرعتى
يدُ موجٍ عاصفٍ مفترس
وتهاويل ادعاءٍ مُفْلِس
يا زمان الرَّغدِ المؤتنَس
اين من ليلك ما تشهده

من زمانٍ غادر مختلسِ
ونداماك الأولى ازرت بهم
فتنُ الليل وجَوْرُ العسس
وعلى قيد ذراعٍ من دمٍ
مستباحٍ أمةٌ لم تنبسِ

* * *

جادك الغيث إذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلماً
فى الكرى أو خلسة المختلس

مارس ١٩٨٤

قصائد الديوان

العدد القادم

قطوفها وسيوفي

الشاعر/ سمير درويش

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٩١ / ٣١٦١

I.S.B.N 977-00-1303-1

مطابع الأهرام بكورنيش النيل